358

HARLEQUIN

روايات أحلام

لو يتوقف الزمن

صوفي ويستون

www.elromancia.com

مرمورية

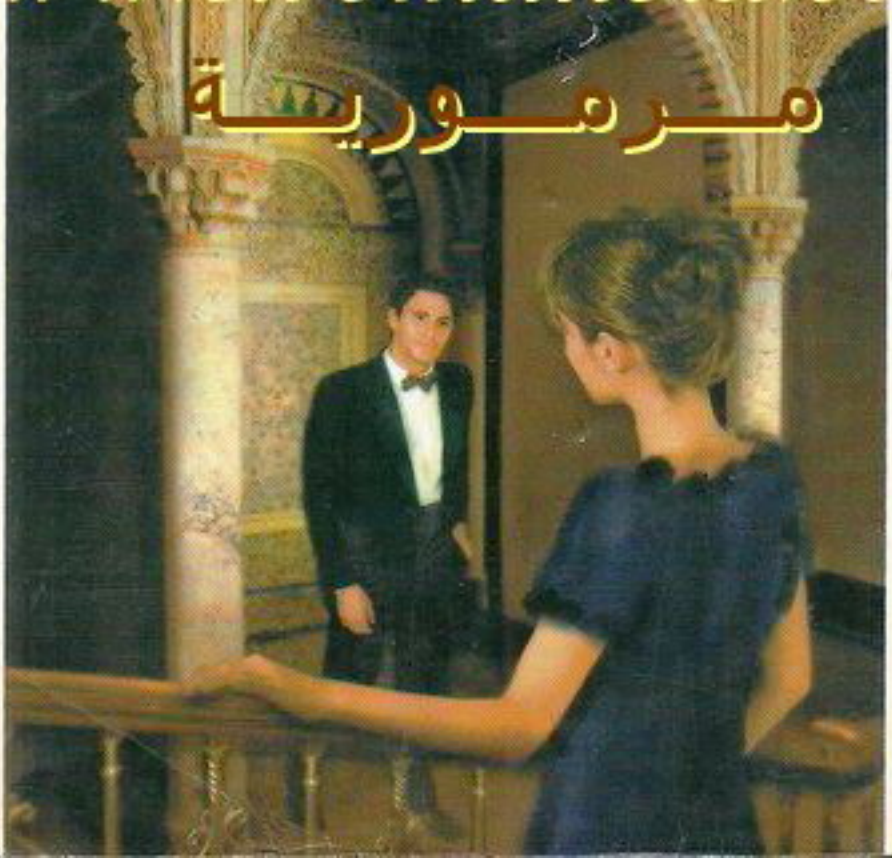

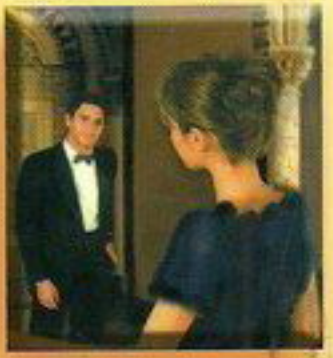

لو يتوقف الزمن

جيمينا عارضة أزياء اعتادت رؤية نظرات الإعجاب في عيون الرجال حتى أنها لم تعد تتأثر بها !
لكن السير على الشاطىء في جزيرة كاريبية ساحرة إلى جانب نيال بلاكثورن موضوع آخر تماما !
هو لا يعرف من هي . وهي لا تعرف هويته الحقيقية .
غريبان تماما على رمال ساخنة جدا ... ومع ذلك ثمة قشعريرة تسري في جسد جيمينا ...
- هل تشعرين بالبرد ؟
خلع سترته وألقاها على كتفيها . فاذا بشعاع من الدفء والشعور بالأمان يسري في كيانها ...
- يا إلهي ! أنا حقا في ورطة هنا !
تلك هي اللحظات التي يصبح فيها إخفاء الأمور أصعب من قول الحقيقة !

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 9953-16-271-3

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Duke's propsal
First published in Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited
© Sophie Weston 2004
Translation © Dar El-Farasha - 2005
ISBN 9953 - 15 - 271- 3

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

صوفي ويستون

ولدت صوفي في لندن وفُطرت على حب السفر والكتابة فخطّت سطورها الأولى وهي في سن الخامسة. وألّفت روايتها الأولى وهي في فترة نقاهة من مرض ألمّ بها وجعلها تظنّ أنها بلغت نهاية المطاف. لكنها كانت مخطئةً في ظنها. فقد استعادت عافيتها وأعجبتها تجربة الكتابة فالتزمت بها إلى اليوم.

تقيم صوفي وستون اليوم في قلب العاصمة البريطانية النابض مع قطّتين متطلّبتين وشجرة كرز. وهي لا تنفكّ تجوب العالم بحثاً عن مواقع جديدة تحوّلها الى مسارح أحداث لرواياتها.

وقد عرفت رواياتها بأنها تنقل القارىء الى أماكن غريبة مثيرة؛ كما يشهد لبطلات رواياتها العصريات بأنهن يدغدغن شعور القارىء بأسلوبهن المميز في الحصول على أفضل الرجال في العالم!

تدعو صوفي وستون قراءها لزيارة موقعها على الانترنت:

WWW. Sophie - Weston.com

مقدمة

اتكأ الرجل الرشيق الممشوق القامة على الدرابزين وراح يتأمل زرقة البحر. كان البيت الريفي البسيط يتوارى خلف حدائق الفندق بمنأى عن دوّامة الحياة وصخبها. تنهّد الرجل تنهيدة تنمّ عن استمتاع ورضى.

كان الليل يلفّه بوشاح دافىء تخترقه بين الحين والآخر نسمة تداعب بشرته، عذبة ناعمة كنفس امرأة.

تناهت إلى مسمعه أصوات علت فوق هدير الموج الخافت، لكنّه كان وحيداً تماماً، كحاله دوماً.

لقد اختار الوحدة بمحض إرادته والتزم بها سنوات طويلة حتى ألِفها، فالمرء منّا يختار طريقه ويسير فيها طيلة حياته. إلاّ أنه أحياناً، وفي ليلة مثالية كهذه، يجد نفسه يتساءل: «ماذا لو كان الوضع مختلفاً؟ ما كان شعوره لو أنّها الآن إلى جانبه؟».

«هي التي لم تكن وهماً ولا سراباً»، قال نايل بلاكتورن هذه الكلمات بصوتٍ عالٍ، ساخراً من نفسه.

في الجهة المقابلة من الخليج، كان مدخل كازينو «كاراييب روايال» يشعّ بالأنوار كما في لاس فيغاس.

انتشل نفسه من حلم اليقظة الذي لم يعتد أن يستسلم له وتمدّد بتكاسل في الظلام الذي راح يرخي ستاره. كان عاري الصدر يرتدي سروالاً قطنياً قصيراً وبالياً يكشف عن ساقين مسمرّتين عاريتين. مع هبوط الليل، كان الهواء الذي

وتبرجهنّ.

وعلى الرغم من حرارة الغرفة المرتفعة، كانت جيمينا تشعر بالبرد بسبب الجليد الذي غزا المنطقة.

«انتبهي لما تتمنين...».

حسنٌ، لقد تمنت ونالت مرادها، وهذا واقع لن يغيره شيء.

لقد قضي الأمر منذ سنين عندما كانت في السابعة عشر من عمرها وصدّقت كلام باسيل بلاين:

ـ أنت يا عزيزتي فنّانة بالفطرة. سأجعل منكِ نجمة متألقة.

لم يخلف بوعده وأصبحت نجمة متألقة بحقّ، بل ملكة على منصّة العرض. إلاّ أن باسيل لم يذكر يوماً ضريبة هذه الشهرة.

أجالت بصرها لبرهة في أرجاء الغرفة، وتأملت النساء اللواتي عجزن حتى عن ردّ التحية عليها، فامتلأت عيناها الكهرمانيتان كآبة. هزّت جيمينا كتفيها استخفافاً وفكرت في سرها: «بالفعل، إنها ضريبة النجاح».

اعتادت منذ حوالى الخمس سنوات أو أكثر أن تشق طريقها وسط البلبلة التي تسود كواليس عروض الأزياء العالمية حتى أصبحت خبيرة في مهنتها.

ـ ها قد وصلتِ.

كانت عيناه هائجتين أما يداه فأبرد من يديها فهذا أول عرض ضخم في حياته المهنية.

ـ لقد اتصلت بكِ مراراً وتكراراً. ألا تجيبين على هاتفك؟

تلافت جيمينا الإجابة عن سؤاله هذا وردّت: «أنا لا أخذل أحداً أبداً».

وهذا صحيح، فهذه، إلى حد ما، الميزة الوحيدة التي تفتخر بها اليوم.

ـ استرخِ يا فرانسيس، سأجعلك فخوراً الليلة.

كانت صادقة في كلامها فقدّمت على المسرح أفضل عرض في حياتها. لاقى

العرض استحساناً كبيراً، فجمع المصمم العارضات حوله وذرف دموع الفرح.

أسندت جيمينا رأسها إلى كتفه فانسدل شعرها الأشقر المحمرّ شلالات على صدر سترته الجلدية.

بدت عفوية، ودودة.. لا بل حنونة. يا لها من صورة مدهشة! هذا ما اجتمع الكل ليلة أمس ليخطط له: المسؤولون عن العلاقات العامة، المعلنون، فرانسيس...

عفوية؟ حقاً!

ثارت ثائرتها لبرهة عندما أخبروها بالأمر ليلة أمس. كانت قد وصلت للتوّ من باريس وقد بات السفر يؤثر في أعصابها في الآونة الأخيرة. فنسيت لهنيهة أنها تتقاضى مبالغ طائلة لتبدو عفوية!

ـ أنتم تسعون إلى نشر شائعة تطالني وفرانسيس.

وجّهت إليهم اتهاماً مباشراً يفتقر إلى اللباقة. فانكبّ بعض الموجودين على قراءة ملاحظاتهم فيما راح البعض الآخر يجيل نظره في أرجاء قاعة المؤتمرات. إنما لم تلتقِ عيناها بنظرة واحدة يتيمة من الحضور.

وأخيراً، خاطب مدير التسويق في شركة بليندا جيمينا بسأم: «أنجزي المهمة وحسب، فأنت وجه شركة بليندا. كما أننا نحتاج إلى المقال، والسيدة أتت إلى البلد لتحضر العرض».

كان الجميع، من دون استثناء، يهاب السيدة. لذا، اتكأت جيمينا على فرانسيس وابتسامة عريضة تنير محياها وكأنه جار لها لا مصمم أزياء متفانٍ في عمله. فسارع المصورون فرحين إلى التقاط الصور في حين انهمك المحررون في كتابة بعض الملاحظات، حتى أن هذه التمثيلية لم تخلُ من تنهيدة رومنسية أو اثنتين.

فكّرت جيمينا في سرّها ومن دون حماس: «أستطيع أن أقرأ عناوين الصحف: هل وقعت جيمينا أخيراً في الحب؟».

سعت جاهدة لأن تحافظ على ابتسامتها ممّا أشعرها بألم في أذنيها. وما إن تواريا خلف الستارة حتى أبعد فرانسيس يده عنها بسرعة، حتى أنه بدا منزعجاً وكأنه محظور عليه لمس الملكة.

ـ شكراً حبي.

كان كلاهما يعلم أنها بعيدة المنال بالنسبة للجميع، باستثناء شخص واحد...

لم يتنبه فرانسيس لما يدور في خلدها وبادرها: «كنتِ محقة، لقد جعلتني فخوراً بحقّ».

ـ هذا من دواعي سروري.

غير أنّ ابتسامتها بقيت باردة، ولم تنعكس في عينيها.

ـ أظن أنك...؟

كانت تخلع أحد تصاميمه بحركات دقيقة متمرّسة فسألت: «أنك ماذا؟».

همهم متابعاً: «ترغبين في تناول الطعام لاحقاً؟».

واحمرّت أذناه، فتنهدت جيمينا في سرها وراحت تردد لنفسها: «كوني لطيفة، كوني لطيفة، فليس الذنب ذنبه إن بخل عليه القدر بمكانة اجتماعية رفيعة».

ـ آسفة فرانسيس، فهذا غير ممكن حالياً لأن السيدة في البلدة، وقد تستدعيني في أي لحظة.

قرأت في عينيه ارتياحاً سارع إلى إخفائه قبل أن يستدرك: «فلنترك هذا إذاً لفرصة أخرى».

كانت ردة فعله عفوية إلى حدّ أن جيمينا كادت تنفجر ضحكاً لولا أنها

تنبهت إلى مساعدته التي وقفت في الجوار. فقد كانت شبه متأكدة من أنّ المساعِدة هذه على اتصال بإحدى الصحف الشعبية.

ـ عظيم، أتتصل بي؟

ثم بادرت المساعدة بابتسامة تجمع بين العذوبة والخبث في آن وكأنها تسألها: «هل سجّلت ذلك؟».

قال فرانسيس بعجلة: «كنتِ فعلاً رائعة، شكراً لكِ».

تردّد لبرهة قبل أن يستأنف حديثه: «أنتِ تتقدمين في عملك يوماً بعد يوم، أليس كذلك؟».

علت محيّاها إمارات الدهشة. فضحك فرانسيس ضحكة لا تنم سوى عن صراحة وإحساس بالارتياح.

ـ لطالما كنت رائعة. لكن ثمة ما تغيّر فيك في الأشهر الأخيرة، وكأنك اكتسبتِ لمسة من الخطورة.

توقفت عن متابعة ارتداء ثيابها عندما سمعت كلماته هذا، وقد أخذت منها الدهشة كل مأخذ: «أخطرة قلت؟».

قد لا يكون فرانسيس متملقاً أو ملماً بالكياسة الإجتماعية لكنه محترف. أردف يطمئنها:

ـ إنه لأمر جذاب فعلاً، يضفي عليك جاذبية ساحرة.

وفجأة، بدت جيمينا مسحورة. فبادرته بأول ابتسامة صادقة وحقيقية في هذا اليوم.

ـ هذا لطف منك يا فرانسيس، شكراً لك.

ـ أنتِ أفضل مما تعتقدين.

وما كان منه إلا أن ربّت على كتفها بارتباك.

ـ عليّ الآن أن أختلط بالمدعوين، أين ستقدمين عرضك القادم؟

www.elromancia.com

كان هذا أسبوع الموضة في لندن، عارضات الأزياء يتنقلن بسرعة من عرض إلى آخر.

تنهدت جيمينا قبل أن تجيب: «لدي اجتماع مع فريق العلاقات العامة، إلاّ إذا استدعتني السيدة أولاً».

ـ يا لحياة عارضات الأزياء المشهورات!

أجابته: «قل شبه المشهورات، لقد ولّت أيام الشهرة».

ـ تستطيعين إحياءها من جديد.

ـ يا له من حلم!

وسارعت إلى ارتداء سترة حريرية. لا شك أنّ البرد قارس في لندن في شهر شباط، إنما لا يهم. فقد تصادف بعض المصوّرين في الخارج ولا يجوز أن تتدثّر ملكة العارضات بثياب شتوية سميكة وتضع قفّازين صوفيين حتى وإن رغبت في ذلك.

ـ ومن ثمّ؟ هل ستعودين إلى باريس؟

أومأت برأسها متابعة: «عندي جلسة تصوير في نيويورك، سأستقل الطائرة غداً صباحاً».

ثم أردفت في سرها: «مبدئياً، على الأقل».

كانت السيدة بليندا قادرة على فسخ العقد معها بعد إعطائها الإنذار بأربع وعشرين ساعة إن كانت عازمة على شن الحرب. أحسّت بالقشعريرة تسري في جسمها. إذا ما فسخت عقدها المهم مع شركة بليندا فحياتها المهنية آيلة إلى الزوال لا محال، وهي تعرف ذلك حقّ المعرفة. فماذا ستفعل عندئذٍ؟

لا جدوى من التفكير الآن، فستعالج هذه المشكلة حين تطرأ.

لذا ركزّت انتباهها على أهم موضوع تستطيع أن تعالجه الآن. وضعت قرطين مستديرين ثم رتبت شعرها المجعد المحمرّ. لم يطل وقوفها أمام المرآة أكثر

من دقيقة، ألقت فيها على نفسها نظرة سريعة خبيرة.

ثمّ راحت تحادث صورتها: «لا بأس، لا بل ممتاز. يحتمل أن أتعرض لأزمة رئوية، إنما لا بأس».

ضحك المصمم.

ـ أنا جادّ يا جيمينا، أنتِ نجمة بكل ما في الكلمة من معنى.

سحبت حقيبة الظهر خاصتها من وسط كومة الأحذية والحقائب على الأرض. وأجابته بوقاحة: «حسن، لا تحسدني، فلن يدوم هذا طويلاً».

ـ ماذا قلتِ؟

حملق فيها مندهشاً.

ندمت جيمينا على انفعالها وصراحتها العفوية، فبادرته بابتسامة عريضة جذّابة ثم أردفت: «انسى الأمر، عليّ أن أنطلق، فسيارة الليموزين تنتظرني».

بعثت له قبلة في الهواء فردّ عليها بالمثل قبل أن يهتف لها: «لقد حقّقت نجاحاً باهراً...».

وانغلق الباب خلفها.

كان الشارع مزدحماً، إلا أن جيمينا نجحت في العثور على سيارتها فهي تعرفها وتعرف سائقها. لطالما أصرّت على الحصول على السيارة ذاتها كلما قصدت لندن، وهذا أحد الأسباب التي جعلتها تشتهر بأنها متطلبة.

في غيابها، كانوا ينادونها «بالوحش» أو «الملكة المخيفة» أو «سيدة المطالب السخيفة بامتياز». كانوا يعتبرون أن لا معنى لطلباتها الخاصة وأنها تحب رؤية المحيطين بها يتهافتون لخدمتها. حبّذا لو يعرفون!

جلست في المقعد الأسود ومدّت ساقيها الطويلتين قبل أن تتناول هاتفها النقال من حقيبتها. عضّت على شفتها ثم استجمعت قواها وشغّلته.

استعرضت الرسائل الصوتية بسرعة. السيدة بليندا تستدعيها إلى «دور

تشستر» عند الثالثة.

كانت وكالة العلاقات العامة قد دعتها لتناول الغداء في «السافوا» حيث وجدت امرأتين تكادان لا تقلاّن عنها أناقة تنتظرانها على أريكتين فخمتين، تفصل ما بينهما طاولة خشبية ملمّعة يعلوها صحن من المقبلات. غاصت في مقعد وثير برشاقة عارضة الأزياء.

فتبادلت المرأتان نظرة مستسلمة وكأنهما تقولان: «يا لها من حياة صعبة».

ارتعشت جيمنا. لقد عملت مع هاتين المرأتين لأكثر من سنة، حتى أن شقيقتها إيزي ستقترن بشقيق آبي، الأصغر سناً في الفريق، وهما لا تزالان تعاملانها كملكة أحياناً وكطفلة جاحة في الخامسة من عمرها أحياناً أخرى. كانتا تلبيان نزواتها كلها لأنها جيمينا دار، الوجه الذي يمثّل شركات بليندا، فضلاً عن أنّ مجلات العالم كلها تسعى جاهدة لتعمل معها.

تبادلتا النظرات ثانية. فهمت جيمينا أن هجوماً ما يتحضر فاستجمعت قواها.

سألتها آبي مؤكدة شكوكها: «أترغبين في مراجعة رسائلك قبل أن نبدأ؟».

أحسّت جيمينا بالتوتر يتآكلها: «كلا، شكراً».

ـ هل تسمحين إذاً بإطفاء هاتفك الخلوي، لا نريد أن يقاطع شيء حديثنا.

أجابتها جيمينا بفظاظة: «إنه مطفأ».

تبادلتا نظرة أخرى من تلك النظرات. إنهما ولا شك تحضران لهجوم وما، فما كان من آبي إلا أن سلّمتها ملفاً من دون أن تنبس ببنت شفة.

سألتها مولي دي بيرتي بنبرة جافة غير ودودة: «أترغبين أولاً في سماع الأخبار السيئة أم الحسنة؟».

وضعت جيمينا الملف على الطاولة وارتشفت قليلاً من المياه الغازية في كأس من الكريستال.

ـ الجيدة منها، فأنا متفائلة بطبيعتي.

وضعت مولي يدها على الملف: «كنت في الشهر الماضي شغل الصحافة العالمية الشاغل وتضاعفت المقالات التي تناولتك مجدداً».

ـ عظيم.

وتابعت مولي بنبرتها القاسية: «أما الخبر السيء فيتعلق بفحوى هذه المقالات».

رفعت جيمينا حاجبيها تعجباً.

ـ لقد خفّ عطاؤك وكثرت مطالبك، فأمسيت بقرة متعجرفة يكرهها الجميع.

لم يرف لجيمينا جفن: «فهمت».

حاولت الليدي أيبجيل اللجوء إلى مقاربة ألطف من تلك التي اعتمدتها زميلتها، لأنها مضطرة لأن تمشي في أحد أيام الخريف إلى جانب جيمينا خلف إيزي دار، وإن لم تكن تتلهف إلى ذلك.

ـ من السهل جداً أن تسوء سمعة من يعمل في عالم الأزياء، وعليك أن تكوني أشدّ حذراً في المستقبل.

من جهتها، لم تنطق مولي بكلمة، أقله بصوتٍ عالٍ.

رمتها جيمينا بنظرة ساخرة، وقالت: «هيا يا مولي، أفصحي عمّا يدور في خلدك. أستطيع تقبّل الأمر».

ـ آبي متساهلة جداً. تشتهرين بأنك طفلة مدلّلة، لأنك تتصرفين كواحدة بالفعل.

همهمت آبي لكنّ أحداً لم يعرها أهمية.

ـ لقد تخطت طلباتك الحدود. والكل يعتبر أنك ضللتِ الطريق. لا بدّ لك من الحصول على سيارة ليموزين سبق أن استقليتها، يقودها سائق يوافق

www.elromancia.com

مزاجك. تطلبين طائرات خاصة عوضاً عن الرحلات المنظمة ثم ترفضين النزول في أفخم فنادق نيويورك لأنك تفضّلين الوحدة، بمعنى آخر، شقة خاصة باهظة التكاليف. دعيني أخبرك شيئاً عزيزتي جيمينا، أنتِ لست غريتا غاربو، فارجعي إلى رشدك.

تملّك جيمينا الذهول. وتبادلت آبي ومولي نظرة ارتياح لأنهما، على الأقل، أفرغتا ما في جعبتهما هذه المرة.

صرخت جيمينا حانقة: «سائقون يوافقون مزاجي؟».

وضعت آبي رأسها بين يديها. وزمّت مولي عينيها حتى باتا أشبه بشقّين ضيّقين.

ـ حسناً، لا تأبهي بنصيحتنا، وسترين إلى ما سيؤول بك المطاف.

بادرتها جيمينا بفتور: «أنا أدفع لشركتكم مبالغ طائلة لتدير علاقاتي العامة ولم أعيّنكما لتمليا عليّ أفعالي وترشداني».

صاحت بها مولي غاضبة: «حسناً، سأبوح لك بالحقيقة بما أنّ أحداً لن يجرؤ على ذلك. إنّ مديرة أعمالك ترتعب لفكرة أن تتخلي عنها كما فعلت مع سابقها. أما شقيقتك فتعاملك بحذر وعناية شديدتين والله وحده يعلم السبب».

غشا الاضطراب عيني جيمينا الشهيرتين فيما تابعت مولي بنبرة لاذعة:

ـ عندما أخذت شركة بليندا تبحث عن الوجه الذي سيمثّلها، أعلمت الجميع أنّها تنشد فتاة من عامة الشعب. لم تعد ترغب في التعاقد مع المشاهير. كانت تبحث عن فتاة تعيش في كنف عائلة ويحيط بها الأصدقاء وتعيش حياتها بشكل طبيعي. لقد وضعت بعض القصاصات في الملف.

ـ شكراً لك.

كانت عينا جيمينا تشعّان في هذه اللحظة وكأن الحنان والرقة هجراهما

تماماً.

ـ من المهم أن أذكرك بأنك عندما حصلتِ على العمل كنت تتمتعين بكل المواصفات المطلوبة. أما اليوم فقد اختلف الأمر وأراهن بأن القيّمين على شركة بليندا بدأوا يلاحظون هذا التغيير.

أكانت تعلم أنّ السيدة تنتظر الآن في دورتشيستر، كأرملة سوداء تترقب أن تسحق عظامها؟

تصلّبت ملامح جيمينا لكنها لم تتفوه بكلمة.

صاحت بها مولي بشيء من الاشمئزاز: «افعلي ما يحلو لك».

والتقت عيناها بعيني آبي. كانت الرسالة جلية حتى لجيمينا: «أستسلم!».

وانتصبت واقفة على قدميها قبل أن تضيف: «يستحسن بك يا آبي أن تنهي حديثك هنا. تنتظرني واجبات حقيقية في المكتب».

بقيت آبي بمفردها، فبادرتها بنبرة تحمل في طيّاتها معاني الاعتذار: «لا تستطيع مولي تمالك أعصابها عندما يتعلّق الأمر بعملها».

بلعت جيمينا بريقها: «هل يقتصر الأمر على ذلك؟».

ظنّت آبي لوهلة أنّ القناع الجميل سيسقط. بدا لها لبرهة أنّ جيمينا ستنزل من عليائها. لم تكن آبي تأبه سواء ضحكت جيمينا أم بكت، شتمت مولي أم أخذت ترمي الأغراض من حولها... شرط أن تتخلى عن هذا المظهر الجامد أو الضجر أو حتى غير المبالي.

لكنها لم تفعل، بل رسمت على ثغرها ابتسامتها الشهيرة قبل أن تقول بفتور: «أخبريني عن أسرتي. علمت، في المرة الأخيرة التي تحدثت فيها مع إيزي، أنّه يتعذر عليهما تحديد موعد نهائي للزفاف قبل أن ينظم دومينيك جدول عمله».

استسلمت آبي بدورها.

عند الغداء، كانت لهجة جيمينا لاذعة وذكية ودفاعية. كانت لطيفة مع

www.elromancia.com

النادل، غير آبهة بالنظرات الخفيّة التي يرميها بها رواد المطعم.

وسرعان ما تملّكها التوتر عندما وقف أحدهم وتوجّه نحوها، توتّر لم يُخفَ على آبي.

تبيّن أنّه محام لطيف يحمل في حقيبته نسخة من مجلة «أناقة» ترافقه ابنة أخ ترغب في امتهان عرض الأزياء. استقبلته جيمينا بابتسامتها العريضة التي جعلت منها اليوم عارضة مشهورة، ثم لبّت طلبه ووقّعت على غلاف المجلة. قدّم لها الرجل بطاقته قبل أن يعود إلى طاولته مسروراً.

سألتها آبي بلهجة لاذعة: «شخص لا يعتبرك طفلة مدلّلة؟».

أتى جواب جيمينا فاتراً: «نعم».

لاحظت آبي أن أصابعها ترتجف. وفجأة، شعرت بالقلق عليها: «هل أنت بخير؟».

ـ طبعاً.

لكنّ عينيها الذهبيتين بدتا فارغتين وكأن الخوف عرف طريقه إليهما.

انحنت آبي إلى الأمام: «هل أنتِ متأكدة؟ لقد امتقع لونك عندما دنا هذا الرجل منكِ».

هزت كتفيها الرائعتين بلا مبالاة قبل أن تجيبها: «خلته شخصاً أعرفه».

ـ أوليس كذلك؟

تلاشت تلك النظرة الباردة من عيني جيمينا وبدت لبرهة كئيبة حزينة، تكاد تشبه تلك الفتاة الودودة التي استخدمتها شركة بليندا لتمثّلها في حملتها.

ـ كلاّ لم يسبق أن رأيته.

ـ حمداً لله.

وأضافت بصوت يكاد يقارب الهمس: «ما بالك يا جيمينا؟ هل ترهقين نفسك بالعمل مجدداً؟».

كانت تعلم أن جيمينا عملت جاهدة منذ ستة أشهر. في الواقع، لو لم تضطر لأن تتوارى عن الأنظار لبضعة أسابيع، وحلّت إيزي مكانها لما تعرّفت هذا الأخيرة على دوم أبداً.

أشاحت جيمينا بنظرها وقد بدا وجهها خالياً من أي تعبير.

أردفت آبي بشيء من القلق: «حبذا لو كانت إيزي بجانبك».

كانت إيزي في النروج مع دوم ولن تعود قبل أسبوعين. استطاعت أخيراً أن تثير رد فعل لدى جيمينا.

ـ لا أحتاج إلى أختي الكبرى لتعتني بي. أستطيع الاهتمام بنفسي، فكما سبق أن أشارت مولي، يكفي أن أرفع سمّاعة الهاتف حتى يهرع أحدهم لمساعدتي. هذا عظيم بالفعل.

استوت آبي في مقعدها تحاول إخفاء اعتراضها على ملاحظة جيمينا. غيّرت الحديث بعيداً عن العمل وهمومه وانتقلت إلى شؤون عائلية. لحسن الحظ تجمع بينهما عائلة تستطيعان التحدث عن شؤونها وشجونها.

استعادت آبي هدوءها ثم قالت: «بالمناسبة، أحمل معي صور عيد الميلاد، سأريك إيّاها».

أخرجت من حقيبتها مجموعة من الصور واستعرضتها بسرعة قبل أن تسحب بعضها ثم مرّرت البقية لجيمينا فيما خلّفت ذكرى تلك السهرة ابتسامة على شفتيها.

ـ أستطيع أن أنسخ لك الصور التي تختارينها.

لم تكن جيمينا في أيّ من تلك الصور التي تنضح بهجة وأملاً. كانت قد نجحت في تدبر أمرها لتحتفل بعيد الميلاد مع العائلة لكنها سافرت صبيحة العيد إلى جزر السيشيل لتشارك في جلسة تصوير مهمة. راجعت جيمينا الصور بسرعة كمن أمضى حياته المهنية يقلّب في قصاصات الصور.

ـ لا أرى غير أزواج متطابقة.

ـ عفواً؟

انتقت جيمينا أربع صور وعرضتها على آبي.

كانت إحدى الصور تمثل آبي نفسها وهي ترقص وزوجها المشوق القامة والأنيق، وأخرى تظهر فيها إيزي ودوم تحت شجرة الميلاد فيما اتكأت ابنة عمّ جيمينا، يبر، في الثالثة على كتف ستيفن.

علّقت جيمينا: «والداي نفسيهما يمسكان بيديّ بعضهما البعض».

أقرّت آبي: «فهمت».

ـ كنت لأخلّ بتوازن الحفلة لو قصدتها.

ـ بربك، لكنتِ تألقت كنجمة.

فأجابتها جيمينا بنبرة غريبة: «الأمر سيّان، نادراً ما ترين النجوم أزواجاً».

نظرت آبي إليها مذعورة كمن تنبهت فجأة لحقيقة فظيعة: «ألم تجدي الرجل المناسب بعد؟».

لم يدم الصمت بينهما غير هنيهة قاطعته جيمينا بالقول: «لم أجد من يستحق أن أقدمه لوالدتي. نحن يا آبي امرأتان. يعلم كلانا أنني جميلة ومتكلّفة وعلاقاتي عصرية إلى حدّ يعجز معه والداي الرومنسيان عن تقبلها».

ـ أتقولين لي إنك تفضّلين الرجال المستبدين؟

أجابتها بنبرة مشكّكة: «ليس هذا ما قصدته».

ـ ما هو قصدك إذاً؟

تردّدت جيمينا قبل أن تجيبها.

ـ انظري إلى الموضوع من هذه الناحية. أنا لا أبحث عن رجل يتبعني حول العالم.

ـ فهمت. ليس من السهل المضي في علاقة سليمة إن كان عملك يقتضي السفر المستمر.

كان زوجها رجل أعمال، صاحب مشاريع تجارية في المحيطات الأربعة، إلا أنه لم يكن يسافر بقدر عارضة أزياء عالمية مشهورة. رمقت جيمينا بنظرة فضولية ثم سألتها: «أتشعرين بالوحدة؟».

أجابت جيمينا متذمرة: «من لديه الوقت ليشعر بالوحدة؟».

كانت الكلمات تتسارع وتتهافت على شفتيها كأنها تتفجّر من عمق أعماقها.

ـ لقد تنقّلت حتى هذا الوقت من السنة بين مدريد وميلانو وبرشلونة وباريس ولندن. سأقصد الآن نيويورك ثم ميلانو لأعود بعدئذ إلى نيويورك.

لم يرق الأمر لآبي، فعلّقت: «هذا لا يمنع أن تشعري بالوحدة. هل فكرت يوماً بتغيير مجرى حياتك؟».

غير أن جيمينا عادت لتقلّب سريعاً الصور: «عفواً؟ ما هذه؟ هل كنت مسافرة؟».

التفتت آبي إلى جيمينا ومدّت يدها لتتناول الصورة وهي بخلاف الصور الأخرى، بطاقة بريدية تُمثّل مشهداً طبيعياً لشجر نخيل، تتكسر خلفها أمواج جامحة. أدارت البطاقة وراحت تقرأ الرسالة المدوّنة عليها وابتسامة تعلو شفتيها: «إنها مجرد بطاقة بريدية أرسلها إليّ صديق».

أعادتها إلى جيمينا.

ـ إنه يقيم في إنكلترا لكنه يرسل إلي بين الحين والآخر بطاقة تذكّرني بكل المتعة التي تفوتني.

علت ابتسامة حارة محياها، فيما راحت تستعيد ذكريات بعيدة.

ـ تبدو أشجار النخيل هذه رائعة في أيام لندن الممطرة، أليس كذلك؟

راحت جيمينا تتأمل الأمواج المزبدة وتهز برأسها ثم قالت بنبرة جافة: «عاتية بعض الشيء بالنسبة لي».

وأدارت البطاقة لتلقي نظرة على اسم المكان: «جزيرة بنتكوست؟ أين تقع يا ترى؟ في بحر الجنوب؟».

أومأت آبي برأسها: «من يدري؟ ربما. فهو في ترحال دائم».

علّقت جيمينا ممازحة: «هو؟».

اقتصر التوقيع على حرف «ن» رسم بحبر أسود وبخط ينم عن كبرياء وتعجرف.

ـ أيجدر بإيميليانو أن يقلق؟

ابتسمت آبي فجأة: «أبداً، فهو يعرفني منذ كنت أضع مقوماً لأسناني. ما من رجل آخر في العالم يعرفني حقّ المعرفة ويقرأ أسراري الدفينة سواه».

قطبت جيمينا وجهها: «يبدو مملاً».

قهقهت آبي عالياً: «إنه مقامر محترف يتقن لعبته. يسعك وصفه بما تريدين إلاّ بالممل».

ـ أنت لا تفكرين إذاً بالسفر إلى جزيرة بنتكوست لتمضي نهاية أسبوع مثيرة مع حبيبك القديم؟

ـ مستحيل، حتى أني لم أسمع بها من قبل.

ـ أنا أيضاً. تبدو نائية جداً.

ردّت آبي بنبرة جافة: «ليس إلى هذه الدرجة. لا بد أنّ فيها ملهى ما».

أعادت الصور إلى حقيبتها وأشارت للنادل أن يأتيها بالفاتورة.

ـ إلى أين ستذهبين الآن؟ أتودين أن أقلك؟

ـ سأقصد الدورتشيستر.

أجابتها آبي وبريق عجيب يتلألأ في عينيها: «حسناً».

أمّا جيمينا فقد قطبت وجهها فجأة: «ليس إلى هذا الحد. ينتظرني استجواب قاسٍ من السيدة».

تغيّرت تعابير آبي على الفور وسرت رعشة في جسدها.

ـ هذه السيدة تخيفني بالفعل. أنا سعيدة لأننا نعمل لحسابك وليس لحساب شركة بليندا.

ـ إنها لا تخيفني.

وهزّت جيمينا كتفها استخفافاً.

ـ أنتِ شجاعة بحقّ يا جيمينا، أليس كذلك؟

ـ ولِمَ عساها تخيفني؟ إنها ربة عملي وليست الامبراطور نيرون.

ـ لكنها شريرة أحياناً، سيئة الطباع كما أنها تبدو... معصومة عن الخطأ.

أجابت جيمينا ببرودة: «لكنني أستطيع ترك العمل بخلافها هي لأنها تدير شركتها».

أعجبت آبي بموقفها لكنها هزت برأسها واستفسرت: «ألا تؤثر فيك بتاتاً؟».

أجابتها جيمينا وعيناها تلمعان: «أبداً. ثمة أمور في الحياة تستحق التعب والقلق بشأنها والسيدة ليست واحدة منها».

* * *

لو قصدت آبي الدورتشيستر بعد ساعة، للاحظت أن هذه ليست الحقيقة الكاملة.

كانت جيمينا قلقة بالفعل، لكنها لم تشعر بالخوف، بل بالغضب.

أرجعت شعرها الشهير إلى الخلف وقد شعرت بالغضب يتأجج في داخلها. انتصبت واقفة ورمقت رئيسة شركة بليندا لمستحضرات التجميل بنظرة غاضبة.

www.elromancia.com

ـ هل تقولين إنك قطعت المحيط الأطلسي لتجتمعي بي في أكثر أسابيع السنة عملاً وانهماكاً وتتذمري من أن لا حبيب لي.

امتقع وجه نائب رئيس الشركة الجالس إلى يمين السيدة إلى طاولة الاجتماعات الفخمة، في حين لم يرفّ للسيدة جفن.

إلاّ أن جيمينا لم تستطع لجم نفسها: «من تخالين نفسك، بحق السماء؟».

التقت عيناها بعيني السيدة اللتين كانتا تشعّان غضباً وشراً.

ـ المرأة التي تسدد فواتيرك الباهظة.

ـ أنتِ لا تمتلكينني، أنا مرتبطة بعقود أخرى.

نظرت جيمينا مباشرة في عيني السيدة كما ينظر المحارب إلى عينيّ عدوه.

ومضت فترة طويلة من الصمت لم يرفّ لأي منهما خلالها جفن.

سألتها السيدة ببرود: «إلى متى برأيك ستحتفظين بعقودك هذه إن أخبرت العالم أنني استغنيت عن خدماتك؟».

لم تسمح لنفسها بأن تتذكّر أنه سبق لهذه الأفكار أن راودتها. كانت محاربة جريئة مصممة على القتال.

أجابت جيمينا باستهزاء: «وهل يمنحك هذا الحق في أن ترغميني على اختيار حبيب؟ لا أظن ذلك».

انتصبت السيدة واقفة. كان المشهد مرعباً، فهي على الرغم من قصر قامتها، مثال للقوة والعزم. ضربت بيديها على الطاولة ومالت بجسمها إلى الأمام.

وصاحت بها بنبرة أقرب إلى الزئير، نبرة من المفترض أن تخيف جيمينا: «ستنفذين ما أمليه عليك».

كانت هذه الأخيرة متأهبة لخوض المعركة أكثر من أيّ وقت مضى.

ـ لقد انضممت إلى حملة اعلانية وليس إلى حريم.

تأوّه سيلفيو، فتابعت: «هل كان سيلفيو يواعدني نزولاً عند رغبتك؟».

ردّت السيدة بحركة تحمل في طيّاتها معاني الازدراء والاستخفاف: «بالطبع».

صاحت جيمينا متعجبة. كانت من الغضب بحيث شلّت حركتها.

ـ أفترض أيضاً أنك من دفع المسكين فرانسيس هال سميث ليدعوني للخروج، أليس كذلك؟ بالمناسبة، أخبرته أن يلعب بعيداً.

احمرّ وجه السيدة من شدّة التعب.

ـ أنتِ تمثلين شركة بليندا وإن طلبت منك أن تتقيي حيباً لك، فستنفذين أوامري!

ـ لن أفعل.

صاحت بها السيدة: «أنا أدفع لك راتبك».

كانت تلك قطرة الماء التي فاض بها الإناء. فأجابت جيمينا بهدوء لا متناهٍ: «إذاً، أنا أستقيل».

التقت عيونهما لثوانٍ سيطر فيها التوتر. هذه المرة كانت السيدة من غضّ الطرف.

شحب لون وجنتيها ثم استأنفت حديثها كأن شيئاً لم يكن: «ما رأيك بكوب من القهوة؟ سيلفيو، اطلب قهوة على الفور».

انتصب نائب الرئيس واقفاً وإمارات الارتياح بادية على وجهه: «بالطبع سيدتي».

واندفع مسرعاً إلى الهاتف في زاوية الغرفة وتحدّث بعجلة.

فكّرت جيمينا في سرّها والشك يساورها: «ما الذي تخطط له هذه العجوز الشمطاء الآن؟».

لوّحت السيدة بيد مثقلة بخواتم كافية لإضرام حرائق إذا كانت الشمس

ساطعة.

ـ حسن، حسن. اجلسي ولنحتسي معاً كوباً من القهوة. سنعالج هذه المسألة سوياً.

أنارت محيّا السيدة ابتسامة فيما راحت تومىء برأسها كمن يطري على تلميذ مجتهد.

حاولت جيمينا أن تستعيد رباطة جأشها، وقالت بهدوء تام: «عندما تعاقدت معكم لتمثيل شركة بليندا، تعهدت بإجراء أربع جلسات تصوير في السنة وبالقيام ببعض المهام الاجتماعية المختلفة، ولقد التزمت بالجزء الخاص بي من الاتفاق».

تأففت السيدة بصوت عالٍ، فبذلت جيمينا مجهوداً جباراً لتكبت الإجابة القاسية التي عنّت على بالها.

هيا، أثيري قلق هذه العجوز الشمطاء!

بادرتها جيمينا: «أعطني سبباً وجيهاً واحداً يحول دون تركي هذه الشركة في الحال».

كاد سيلفيو يفلت سمّاعة الهاتف، حتى أن السيدة نفسها عجزت عن إخفاء دهشتها.

أجابتها ببساطة: «لأننا نستطيع تحقيق الكثير معاً».

تأمّلت عينا جيمينا سيلفيو الذي بدا شديد القلق، وأجابت بنبرة جافة: «ليس إن كنت تعتزمين اختيار أصدقائي، فمن الواضح أنّ ذوقنا في الرجال مختلف».

لمعت عينا السيدة غضباً: «سيلفيو، أخرج من هنا».

ترك سيلفيو الغرفة فاستأنفت السيدة حديثها: «حسن، فلنكشف أوراقنا. نحن نواجه مشكلة».

رفعت جيمينا حاجبين مثاليين.

ـ بربك اجلسي، أشعر بأنني أتحدّث إلى عمود كهرباء. لمَ أصبحت العارضات فارعات الطول بحق السماء؟ حين كنت طفلة في باريس، كانت مقاييسهن أقرب إلى المعايير البشرية.

حاولت جيمينا أن تكبح ضحكتها قبل أن تجلس.

ـ هذا أفضل.

مالت السيدة وأسندت ذقنها إلى أصابعها فلمعت خواتمها، إلا أن جيمينا لم تعرها أي انتباه.

ـ إن الصحف...

ـ تعتبرني طفلة مدللة. لقد تناولت الغداء مع مستشاريّ العلاقات العامة لديّ وقد أطلعتاني على المستجدات.

هزت السيدة رأسها: «إنهما مخطئتان، فالصحافة تنجذب إلى العارضات المدللات. المشكلة هي أنّ الأضواء بدأت تنحسر عنك».

ثم اختارت مجموعة مجلات وطرحتها على الطاولة.

ـ ألقي نظرة عليها. أرني اسمك. ستجدين نجوم سينما ولاعبي بيسبول حتى بعض الأرستقراطيين المقيتين الذي اختفوا عن الأضواء مدة خمسة عشر عاماً. لكنك، بالتأكيد، لن تقعي على اسم جيمينا دار. والأهم من ذلك، على وجه شركة بليندا.

قطّبت جيمينا لكنها كانت منصفة في حكمها. تصفّحت المجلات سريعاً. كانت السيدة محقة بالفعل.

ـ حسناً، لم تأتِ على ذكر شركة بليندا، أو حتى جيمينا دار. سأسلم لك بذلك، فما العمل؟

ـ آن لك أن تفعلي شيئاً بهذا الخصوص.

سألتها جيمينا فجأة، وقد زمّت عينيها: «إنها الفرصة الوحيدة والأخيرة، أليس كذلك؟».

طرفت السيدة بعينيها، وقالت بصراحة: «أصبت. تصرفي إذاً».

ابتسمت جيمينا.

ـ كنت أتوقع سماع كلمة «وإلاّ». ستفسخين العقد إلا إذا ماذا؟ إلا إذا صبغت شعري؟ كتبت رواية؟ غنّيت؟ ماذا؟

تفاجأت جيمينا لرؤية السيدة تطلق ضحكة فظّة، وتقول: «تعجبيني يا جيمينا. أنتِ جسورة».

لا بدّ من ذلك، عندما أتقاضى أجري من حوت مثلك.

بطبيعة الحال، لم تجهر جيمينا بما تفكّر فيه، بل علت وجهها ابتسامة رزينة.

ـ شكراً لك. أفصحي عمّا يدور في خلدك. ماذا تريدينني أن أفعل؟ أن أواعد فرانسيس؟ أهذا هو الحل؟

ـ ولِمَ لا تواعدينه؟ إنه موهوب فعلاً. ينتظره مستقبل واعد.

استوت جيمينا في جلستها ووضعت ساقاً فوق ساق: «إنه يفتقر إلى الكياسة. لقد دعاني للخروج معه في وجود فتاة أخرى وفيما كنت أبدّل ثيابي».

تبادلتا نظرة تنمّ عن تفاهم تام، فقد كانت السيدة عارضة أزياء في ما مضى.

أردفت جيمينا وهي ترمق السيدة بطرف عينها: «ماذا بعد؟ عندما أجبته أنه من الأفضل أن نخرج سويّة في مناسبة أخرى، بدا كمن حرر من سجنه».

خيّم الصمت على الغرفة. وزمّت السيدة شفتيها.

أحسّت جيمينا بفضول حقيقي، فسألتها: «كيف استخدمته بحق السماء؟».

بعد صراع داخلي، أجابت السيدة بفظاظة: «عرضت عليه ترقية في عيد الميلاد المقبل».

ردّت جيمينا بالنبرة نفسها: «حسناً، لقد حاول. أتودين إطلاعي على السبب؟».

بدت السيدة غارقة في تأمل خواتمها.

ـ عندما كنّا نبحث عن وجه جديد يمثل شركة بليندا، كنا ننشد نموذجاً معيناً. امرأة من عصرنا هذا تتخذ قراراتها بنفسها، وتولي أهمية كبرى لمهنتها طبعاً، من دون أن تهمل نواحٍ أخرى من حياتها كالأصدقاء والفكر والحب والأولاد.

نظرت جيمينا إليها من دون أن يرفّ لها جفن، وقالت: «لا تتوقعي أن أعجب طفلاً، فهذا ليس بالقرار الذي أتخذه بناء على رغبة شركة تجميل أو أي مدير آخر».

انفرجت أسارير السيدة حتى أنها بدت كمن حقق نصراً ما أثار دهشة جيمينا.

ـ بالضبط. هذه هي النبرة التي أنشدها.

رفعت جيمينا يديها إلى السماء، قائلة: «أنا أستسلم».

ـ اسمعيني، لقد اخترتك بنفسي لتمثّلي شركة بليندا. أعجبتني الطريقة التي قدّمت بها نفسك.

وأردفت السيدة بنبرة كادت تخلو من الحسّ الدرامي الذي طغا على حديثها: «لقد فكرت في بعض الأمور ولم تخافي من إبداء رأيك فيها. أحببت هذا الجانب من شخصيتك».

ـ شكراً لك.

تملكت الدهشة جيمينا.

ـ لم يجدك سيلفيو فاتنة بما فيه الكفاية.

ذلك المراوغ! لم يكن هذا رأيه عندما كنّا نتناول العشاء، هذا ما خطر

لجيمينا قبل أن تجيب السيدة بصوت مسموع: «حقاً؟».

ـ قلت له إنّ النقطة هذه ليست بمهمة. نحن في القرن الواحد والعشرين، وقد حان وقت التغيير. إنها تعيش مع أختها وابنة عمّها شأنها شأن أي شخص عادي. كما أنهنّ جميعهن نشيطات وجريئات.

ـ أنتِ محقة.

أضاءت وجه جيمينا ابتسامة فيما راحت تفكّر في بير سيدة الأعمال وفي إيزي المغامرة المجنونة.

بادلتها السيدة الابتسام.

ـ قلت في نفسي: هذه هي ابنة القرن الواحد والعشرين، فاتنة، صهباء، لا تعيش حياتها قلقة على حجم مؤخرتها، فتاة لها حياتها الخاصة ومستقبل باهر.

تأثرت جيمينا لسماع هذه الكلمات: «شكراً لك».

ـ كيف انقلبت المقاييس رأساً على عقب؟ ماذا حل بتلك الفتاة المحبّة التي لطالما كانت واقعية؟

جفلت جيمينا.

سمعت نقراً خفيفاً على الباب، وإذا بنائب الرئيس يدخل برفقة نادل يحمل صينية ضخمة، سكب لهم القهوة ومياه معدنية قبل أن ينسحب من الغرفة. من جهته، بدا نائب الرئيس متردداً، فأشارت إليه السيدة بالجلوس.

استأنفت السيدة حديثها مقطبة الوجه: «عندما راح مدير أعمالك الغبي يتحكم في الحفلات والسهرات، طلبت من سيلفيو أن يتصل به ليطلب منه التروّي، أليس كذلك يا سيلفيو؟».

أومأ هذا الأخير برأسه بحماس ثم أجابها: «بالطبع سيدتي».

ـ ثم عمدت بنفسك إلى طرده. فقلت في نفسي: جيد. هذه الفتاة تتمتع بحدس مميز، ستعود المياه إلى مجاريها الآن.

ـ لم أطرد باسيل.

بدأت جيمينا ترتعش وراحت تعبث بحقيبتها في محاولة منها لإخفاء اضطرابها.

خاب ظن السيدة: «هذا ليس ما تناهى إلى مسامعي».

ـ اتفقنا سوية على الاستغناء عن خدماته كمدير أعمال.

بدت السيدة مشككة: «حقاً؟».

في نهاية المطاف، عندما هدّدته بفضح الضغوط المقيتة التي مارسها كإعطائها أقراصاً لتحافظ على لياقتها، وإبعادها عن عائلتها لئلاً تفقد تركيزها على عملها. عندما واجهته بهذا الحقائق كلها، سرّه أن يفسخ العقد معها لكنّه الآن يعيد حساباته و...

إن لم تسيطر على نفسها، ستغلبها الرعشة مجدداً.

لم يلبث مزاج السيدة أن تبدّل فجأة كعادتها فبدت وكأنها فقدت اهتمامها بالموضوع.

ـ لا بأس. ما يهمني حالياً هو أنك لا تعيشين حياة شخصية. لا تواعدين أحداً ولا تخرجين إلا للعمل.

أجابت جيمينا وهي ترتجف: «أنا أعمل، لذا لا تتسنى لي فرصة مواعدة أحد».

ـ جدي بعض الوقت.

سألتها جيمينا مندهشة: «ماذا قلت؟».

ـ استرجعي حياتك الطبيعية. لست مضطرة لأن تختفي عن الأضواء، ولا تواعدي مصمم أزياء إن كنت لا ترغبين في ذلك. إنما واعدي أحدهم!

ـ أنا...

ـ سألغي جلسة التصوير في نيويورك. خذي استراحة. اخرجي لتتعرفي إلى

شبان جدد كما تفعل الفتيات في مثل سنك. أودّ أن أراك تعيشين حياتك كزبائن شركتنا. أنا أترقب مقالات الصحف لأتأكد من النتيجة.

وهبّت واقفة معلنة انتهاء الاجتماع.

تخلّصت جيمينا من الرعشة التي تملّكتها، فهي لا تهاب السيدة.

كانت الغرفة مضاءة بمصابيح ترسل نوراً دافئاً جعل شعرها الرائع يتموّج وكأنه نار مستعرة. كانت جيمينا تعرف أن السيدة اختارتها شخصياً لتمثّل شركة بليندا ولن تقرّ بأنها أخطأت الاختيار.

سألتها جيمينا بنبرة لطيفة: «وإلا»؟

لعل السيدة تحبّ جيمينا شخصياً، لكنها لا تتحمل أن يتحداها أحد وتقف مكتوفة اليدين. قست تعابيرها وهي ترد: «سبق أن حضّرنا حملة الميلاد ولن أستثنيك منها. لكنها ستكون الأخيرة إلاّ إذا...».

قاطعتها جيمينا: «واعدت أحدهم».

ثم هدّأت من طبعها ومنحت سمكة القرش ابتسامة لطيفة، قبل أن تضيف: «أنا شبه متأكدة من أنّ إجراء كهذا غير قانوني».

لم تكن السيدة تأبه لهذه الترّهات والهراء القانوني، فصاحت: «إلاّ إذا استعدت حياتك الشخصية».

فسألتها جيمينا: «وإن لم أفعل؟».

ـ لن تعودي فرداً من فريق العمل.

أجابتها السيدة بذلك وقد باتت عيناها كعيني السحلية برودة.

فانتصبت جيمينا واقفة، وقالت: «سبق أن أخبرتك أنني أستقيل».

واندفعت خارجة قبل أن تلقى جواباً.

* * *

أوقف لها البواب سيارة أجرة فغاصت في مقعدها الكبير ثم اتصلت

بالوكالة.

ـ لقد طردنا أنا وبليندا بعضنا البعض الآخر.

بعدئذ، فعلت ما كانت تؤجّله طوال اليوم، فراجعت الرسائل على هاتفها. ارتجفت أصابعها بعض الشيء فيما راحت تضغط على الأزرار. في الآونة الأخيرة لم يعد باسيل يترك لها رسائل. وكانت جيمينا قد اعتادت أن تلغيها قبل أن تقرأها. لكنها اليوم، وقعت على إحداها صدفة.

كانت الرسالة هي نفسها كالعادة. الكلمات تتغيّر إنما يبقى الموضوع هو نفسه.

«أنت لي وحدي».

www.elromancia.com

٢ - هروب إلى الشمس

دخلت جيمينا شقتها حيث الظلام دامس والسكون فألقت بحقيبة ظهرها أرضاً قبل أن تغلق الباب خلفها.

نادت ابنة عمّها من دون أن تنتظر رداً: «بيبر».

لم يجبها أحد تماماً كما توقعت. لقد سافرت إيزي لتدعم حبيبها وتسانده في تدريبه، لكن جيمينا كانت تأمل أن تجد ابنة عمها في المنزل.

رفعت حقيبتها إلى كتفها ثم أضاءت النور ودخلت المطبخ.

كان البيت مرتباً نظيفاً على غير عادة، فما من زهور على الطاولة وما من رسائل مخربشة على اللوحة تذكرهنّ بما عليهن فعله. لا بد أنّ عاملة التنظيف هي آخر من ترك هذا المكان.

أخذت جيمينا تعدّ لنفسها القهوة، وإن لم تكن ترغب بشدة في احتساء فنجان منها.

خاطبت الكرسي الشاغر: «مرحباً جاي جاي. كيف وجدت باريس؟ كيف حالك؟».

بعدئذ التفّت حول الطاولة لتقف في الجهة المقابلة منها: «تعلمين، عمل.. عمل.. عمل.. ومدير أعمالي السابق لا يدعني وشأني، وكان وظيفته الجديدة تقتصر على مطاردتي. وهو لا يتردد في مضايقتي ليلاً نهاراً على مدار الأسبوع».

وسط هذا السكون المطبق، أتى تعليقها أبعد ما يكون عن السخرية: «تباً

له».

رمت بنفسها على كرسيّ المطبخ وأسندت رأسها بيديها. رنّ الهاتف لكنها تجاهلته. لم تذرف دمعة واحدة منذ شنّ باسيل عليها هجومه وبدا الآن أنه لا يود طيّ صفحة الماضي والمضي قدماً.

وانطلق المجيب الآلي بصوت إيزي الممازح: «لا يسعنا تلقي اتصالك حالياً. تحدث بنبرة لطيفة وقد نعاود الاتصال بك، استعد للصفّارة».

كنّ قد ضحكن كثيراً في تلك الليلة عندما سجلت إيزي هذه الرسالة.

ضغطت جيمينا على زرّ التشغيل مجدداً لتستعيد تلك الذكرى.

ستقترن إيزي بدوم وبيبر بدورها ستتزوج. ماذا عن جيمينا؟

أعادت نفسها إلى أرض الواقع، فهي تكره أن تشعر بالأسى على نفسها، لأن هذا الأمر يشعرها بالوهن والجبن.

انتصبت واقفة تبحث عن محرمة تجفف بها عينيها اللتين تفيضان دمعاً.

عاد الهاتف ليمزّق الصمت العميق. علا صوت إيزي الجميل الضاحك ثانية ثم..

سمعت صوتاً مألوفاً: «أهلاً بك في منزلك يا جيمينا».

جمد الدم في عروقها وتسمّرت يدها على علبة المحارم. وفجأة، جفّت العينان اللتان تبكيان على حالها وأحسّت بألم يعتصر صدرها. استقامت على مهل ووضعت العلبة في مكانها بدقة متناهية.

شعرت بألم في حنجرتها فابتلعت بريقها وهي تحدّق إلى الهاتف لكنّها لم تأتِ بأيّ حركة.

بدا الصوت ملحاً لجوجاً: «هيا، ارفعي السماعة. لا تكوني سخيفة. رأيتك تضيئين الأنوار».

هل يسعه رؤيتها؟

كانت نوافذ المطبخ تبعد عنها ثلاثة أقدام. تراجعت وتوجهت إلى رواق لا نافذة فيه. وراح الصوت يلاحقها: «ارفعي السماعة يا جيمينا. يجب أن نتحدّث. أنتِ مدينة لي بذلك».

بدا صوته عقلانياً، لكن الموقف برمته ليس عقلانياً. باسيل نفسه لم يعد عقلانياً.

اتكأت إلى الحائط فيما أخذت يداها تتصببان عرقاً.

صاح بها غضباً، ضارباً أخيراً بالمنطق الزائف عرض الحائط: «جعلت منك نجمة، أيتها الساقطة».

أطفأت جيمينا الأنوار.

خطر لها والقلق يتآكلها أنه ينتظر في الخارج. لعلّه لحق بها. لم تصادفه عندما خرجت من الدورتشيستر. لكنها قلّما تنتبه لطيفه يتعقبها.

لم تشعر جيمينا بوطأة هذا الفراغ من قبل. أجالت النظر في ما حولها واتخذت قرارها. لا يسعني البقاء هنا.

لن تتكبد عناءً كبيراً لتهرب من هذه الورطة. كانت تحمل في حقيبتها تذكرة سفر إلى نيويورك لن تحتاجها بعد اليوم، فمن فوائد تذاكر الدرجة الأولى أنها قابلة للبدل.

يبقى عليها الخروج من المبنى من دون أن يلحق بها.

فكرت جيمينا بجفاف: «أحتاج إلى حجاب أو إلى خوذة».

خوذة...

كان عامل توصيل البيتزا من الحيرة والارتباك بحيث لم يتردد في إعارتها خوذته وسترته. ركنت الدراجة قبالة الصيدلية وانتظرت فيما كان الشاب يمشي باتجاهها.

ـ شكراً لك.

ـ لا داعي للشكر، سررت بمساعدتك.

كانت قد أخبرته أنها تعاني من بعض المشاكل مع حبيبها فلم يشك في قصتها لحظة. ستتصدّر هذه الأخبار عناوين الصحف نهاية هذا الأسبوع، لكنها لم تأبه البتة بل طبعت على خده قبلة سريعة بريئة قبل أن تبادره: «أنت بطلي».

أشرق وجهه بابتسامة وفتح لها باب السيارة: «حظاً موفقاً».

فأجابته جيمينا متأثرة: «شكراً لك، أحتاجه بحقّ».

هل تغيّر التذكرة؟ كان الموظف المسؤول عن الحجوزات ودوداً جداً.

ـ بالتأكيد، ما من مشكلة، أين تودين الذهاب؟

أحسّت لبرهة أن أفكارها تخونها. هزّت كتفيها غير مبالية فهي قد جابت العالم بطوله وعرضه. لكنها تبحث الآن عن منفذ لها، يخلصها من هذه الورطة وليس عن عطلة حقيقية.

اختارت عشوائياً ملصقاً أظهر شاطئاً تزيّن رماله أشجار النخيل وبحراً فيروزياً غريباً.

أشارت إلى الملصق: «هناك».

سألها الموظف: «جزر الكارايب. حسن، أيّ جزيرة اخترت؟».

خطر لها أنّ الأمر غير مهم، لكنها لجمت الكلمات قبل أن تصل إلى شفتيها.

وإذا باسم ينبثق من عمق ذاكرتها.

ـ هل من جزيرة تدعى بنتكوست؟

ما إن نطقت بهذا الاسم حتى شعرت بالقشعريرة تسري في جسدها، وكأن هذه الرحلة ضرب من ضروب القدر.

استقامت في وقفتها وبادرته: «هل تؤمنون الرحلات إلى هذه الجزيرة؟».

أنارت ابتسامة وجه الموظف: «يسعنا إيصالك إليها عن طريق باربادوس.

أترغبين في السفر في الدرجة الأولى؟».

لن يعرف مخلوق في العالم وجهة سفرها، ولا حتى باسيل. كما لن يستطيع الآن رشوة أحد لمراقبتها أو إرغام أحد رجاله على التجسس عليها.

وقفت جيمينا أمام مرآة الحمّام في قاعة الانتظار تمعن النظر في نفسها كما اعتاد باسيل أن يفعل دوماً.

تملّكها ارتياح عارم لا بل نشوة دامت طوال الليل لتستمر خلال فترة الانتظار المملة في مطار باربادوس وخلال الرحلة إلى الجزيرة لا بل حتى وطأت قدماها جزيرة بتتكوست.

كان المطار عصرياً إنما ضيقاً، ولم تكن جيمينا قد رأت مثيلاً له. ما إن مرّت بمكتب الأمن العام، حتى طالعها ممر بسيط وكشك صغير.

راحت تجيل النظر في ما حولها، مدهوشة.

قالت «مطار مدينة الدمى».

كان كشك القهوة يعرض متفاخراً إبريقاً من القهوة الساخنة وقطعاً شهية من الكعك المحلي، وتديره امرأة ودودة ترحّب بالزبائن.

أقرّت الموظفة: «أصبتِ، لسنا بمؤسسة ضخمة».

تفاجأت جيمينا واحمرّت وجنتاها خجلاً. ينبغي أن تكفّ عن التفكير بصوت عال.

ـ آه، آسفة.. لم أعنِ...

إلا أن المرأة لم تبدُ غاضبة البتة، حين قالت: «ندير مؤسسة صغيرة نفتخر بها».

وقدّمت لجيمينا قطعة كبيرة من الخبز والابتسامة لا تفارق ثغرها.

أخذت جيمينا تلتهم بفرح قطعة الخبز الساخن الذي فاحت منه رائحة التوابل الشهية.

ثم قالت: «أعتقد أنني اعتدت المطارات التجارية. هل من مكتب سياحي في الجوار؟».

هزّت المرأة رأسها بهدوء.

ـ لا حاجة لمكتب كهذا هنا. فالسوّاح يستلمون برنامج الرحلة قبل أن يصلوا إلى بتتكوست.

رمقت موظفة الكشك الودودة جيمينا بنظرة ثاقبة متفرسة. كانت تلك الأخيرة تدرك تماماً ما تراه عينا المرأة سيّما وأنّ هيأتها لم تكن بالمؤثرة...

لقد احتاجت لسروال جينز لتلعب دور عامل توصيل البيتزا، لكن السروال أمسى في حالة مزرية بعد الرحلة. أمّا قميصها فيبدو مبتذلاً، كما أنّ وجهها الشاحب تظهر عليه أمارات التعب والسهر ويحيط به شعر مشدود في ضفيرتين. كانت الطائرات السياحية البسيطة في هذه الجزيرة تشحن الحقائب كلها من دون أن تصنّفها بحسب الدرجات، إلا أن رقعة التعريف الذهبية والفضية على حقيبتها فضحت أمرها، إذ كانت تعلن للملأ: درجة أولى.

أمعنت السيدة النظر فيها ثم أومأت برأسها قائلة: «اقصدي فندق «القرصان»».

تبعت جيمينا بنظرها عيني الموظفة اللتين تتفرسان بالرقعة: «حقاً؟».

أشارت السيدة بيدها إلى إحدى الصور الملصقة على لوحة الإعلانات الوحيدة حيث وقعت عينا جيمينا على صورة: بحر فيروزي، أشجار النخيل، أمواج متكسرة بيضاء مزبدة.

كانت هذه الصورة بمثابة الحلقة الأخيرة التي أكملت الأحجية.

وتذكّرت جيمينا أين سمعت بجزيرة بتتكوست للمرة الأولى: صديق أبي، السيدن الغامض الذي أرسل لها البطاقة البريدية، والذي لا يهدد زواجها لأنه عرفها منذ كانت تضع مقوّماً لأسنانها.

www.elromancia.com

كازينو «القرصان» ليس بالمكان المناسب للعطلة التي تنشدها.

توجهت جيمينا إلى الصورة لتنظر إليها عن كثب.

أبنية فخمة، حدائق، بحر فيروزي، مطبخ عالمي، فرص الفوز بثروة.

قرأت جيمينا الإعلان: «كلّ ما تحتاجه في مجمّع واحد».

كانت لتدفع مبالغ طائلة لتتجنب فندقاً كهذا. عادت إلى موظفة الكشك، وقالت: «أتمنى البقاء في البلدة لأتعرف عن كثب على الحياة المحلية».

وسألتها جيمينا بلباقة: «أمن الصعب إيجاد غرفة؟».

أومأت المرأة برأسها إيجاباً: «إن الغرف كلها محجوزة في هذا الوقت من السنة».

اعتصر الحزن قلب جيمينا.

ـ تحدثي إلى السيد درنجر في فندق «القرصان»، سيتدبر لك غرفة في هذا الفندق الكبير التابع للكازينو.

ابتسمت جيمينا ساخرة. كازينو! هو آخر مكان تخيّلت نفسها تلجأ إليه للهرب من الأضواء.

ـ لم أكن أفكر بالتحديد في الكازينو.

اقترب شاب يجرّ عربة تنقل بعض المواد الطبية وثبّت الفرامل ثم أسند ذراعه إلى الصناديق.

خاطبها الموظف: «أعرف مكاناً في المدينة يسعك النزول فيه».

قاطعته بائعة القهوة بنبرة متعالية فيما عادت عيناها لتتفرسا الملصق الفضي والذهبي: «إنه يليق بالأطفال المشردين، وليس بسيدة شابة».

ـ حسناً، لعلك محقة إلا أن للضرورة أحكام.

لم تعره السيدة انتباهها، بل راحت تنظر من فوق كتف جيمينا ثم ابتسمت ابتسامة عريضة أنارت محيّاها.

ـ كم أنت محظوظة! لقد أتى من يساعدك. مرحباً نايل.

علا خلفها صوت رجل يتحدث بلكنة إنكليزية واضحة!

ـ مرحباً فيوليت. كيف الحال؟

«إنه إنكليزي. باسيل؟». واستدارت على عقبيها فيما راحت دقات قلبها تتسارع حتى شعرت أنها ستنهار.

وضعت حقيبتها جانباً وكأنها تستعد للانقضاض على فريستها. تراجعت خطوة واستدارت قليلاً، ثم استجمعت قواها لتصدّ أي هجوم.

إلا أنها لم ترَ باسيل، بل رجل لم تقع عيناها عليه من قبل. فلو رأته قبلاً لما نسيته.

كان ممشوق القامة، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة واهنة. لم يكن يرتدي سوى سروال قطني قصير وينتعل صندلاً حقيراً. وقد لوّحت الشمس بشرته فمنحتها سمرة يحسده عليها عارضو الأزياء.

لم تستوقفها هذه السمرة المذهلة أو حتى هذه الملابس الفاضحة، بل تسمّرت عيناها على وجهه بالتحديد.

يصعب نسيان هذا الوجه وإن لم تكن ملامحه فاتنة.

كان أنفه معقوفاً إلى حدّ ما، وخداه عاليين متعجرفين، وملامحه تنضح قوة وذكاءً حاداً. إنه بالفعل وجه يصعب نسيانه.

ـ مرحباً. يا إلهي، هل تعانين من عذاب الضمير؟

فاجأها هذا الغريب بسؤاله، فحدّقت جيمينا إليه بارتباك.

ـ ماذا؟

أردف المتعجرف ساخراً: «تبدين كمن يخشى أن تعتقله الشرطة. ضعي حقيبتك جانباً. انظري.. لا أحمل أصفاداً».

خجلت جيمينا من نفسها وشعرت بأنها غبية. فوضعت حقيبتها جانباً،

www.elromancia.com

غاضبة من هذا الموقف برمته.

شعرت أنها مأخوذة به، فهو أقرب إلى أمير من عصر النهضة يتحكم بمصير حاشيته.

في الواقع، لم تكن لتنسى وجهاً تجمع ملامحه مزيجاً من كل شيء، هذا ما خطر لجيمينا في محاولة منها لتهدىء من روعها.

لكن فيوليت لم تتأثر بهذا السحر الرجولي بل تابعت: «نحن بخير. غير أن هذه السيدة ترجّلت لتوها من الطائرة وليس لديها مكان تبيت فيه. إصحبها إلى فندق «آل»».

تكلّمت بنبرة هادئة فيما راحت تربّت على كتف جيمينا وكأنها مسؤولة عنها.

كانت جيمينا قد هدأت إلى حدّ ما، إنما خيّل لها أن فيوليت ترسلها إلى سوق العبيد.

ردّدت جيمينا: «فندق آل».

رماها أمير النهضة بنظرة تهكمية احمرّت لها وجنتاها خجلاً.

تباً لهذا الرجل، أيستطيع قراءة أفكاري؟

أجابتها فيوليت بنبرة هادئة غير مبالية: «إنه نزل محلي».

وتوجّهت إلى السيد المتعجرف مصممة على إقناعه: «ستأخذها معك، أليس كذلك؟».

بدا جلياً أنه لا يودّ ذلك، فقد زمّ فمه وقال: «أنت امرأة مدبّرة، فيوليت».

ولم يوجّه أيّ كلمة لجيمينا.

استجمعت جيمينا قواها، إنه ليس باسيل وهي لا تخشى هذا الرجل الواقف أمامها.

أجابته بنبرة جافة وهي تحاول تلافي عينيه: «لا حاجة لذلك، لقد أتيت على

غفلة من دون استعداد. من الواضح أنها لم تكن بالفكرة السديدة. سأنتظر هنا وأستقلّ الرحلة التالية».

ردّ الإنكليزي بهدوء أعصاب ممل: «لا يسعك ذلك. فالرحلة التالية تقلع في الغد».

فما كان من جيمينا إلا أن استشاطت غضباً وراحت تلعن في سرها «مدينة الدمى» هذه. لكنها ردّت بمرح: «حسناً، سأجد غرفة في البلدة وأحجزها لهذه الليلة».

ـ يا لحظك العاثر! لن تجدي غرفة واحدة في الفنادق الثلاثة في هذه البلدة، كان عليك الحجز قبل الآن.

والتقت نظراتها بنظراته اللامبالية.

راحت جيمينا تردّد في نفسها أنها ليست مغرورة ولا تتوقع من رجال المعمورة أن يستسلموا لسحرها. لقد مضى وقت طويل منذ أن رمقها أحدهم بنظرة باردة. هي جيمينا دار؟ وشعرت بقشعريرة تسري في جسدها.

لن أخشى رجلاً بعد اليوم!

كانت تحتاج إلى هذه الثقة والتشجيع. رفعت رأسها وأجابته بنبرة ودودة: «إذاً لن أضيّع وقتي. سأمضي الليلة هنا».

ـ في المطار؟

حتى السيد «غير مبالٍ» بدا مندهشاً.

ـ أصبت.

ـ تبدين معتادة على ذلك، أليس كذلك؟

في الواقع، لم تتجرأ على ذلك يوماً. غير أن شقيقتها إيزي كانت مغامرة متمرّسة، وقد اعتادت سماع قصصها حول مغامراتها المرتجلة المثيرة. كما أن النوم في مطارٍ نظيف وهادىء ليس بالمهمة الشاقة حتى بالنسبة لعارضة أزياء

www.elromancia.com

مدللة، كما فكّرت جيمينا في نفسها على مضض.

أمالت برأسها وأجابته: «هل من مشكلة؟».

هزّ كتفيه استهجاناً: «ليس في ما يختص بي شخصياً. إنما قانون الجزيرة صارم جداً في ما يتعلق بحالات التشرّد. ستنتهين على الأرجح في السجن».

بذلت جيمينا ما في وسعها لتحافظ على رباطة جأشها، إلاّ أن قناع اللطف سقط. وسألته بنبرة لطيفة: «ستحلّ بهذه الطريقة مشكلتي، ألست محقة؟».

هذه المرة، لم تكن نظرته إليها باردة أو غير مبالية، بل حارة.

ـ حسناً، لقد أقنعتني. من الواضح أنك لا ترغبين في الذهاب إلى فندق آل. إنما لا أظن أنك تملكين الخيار بالنسبة لهذه الليلة على الأقل. أخبريها يا فيوليت.

أومأت بائعة القهوة برأسها بنشاط، وقالت: «ثقي بهذا الرجل».

ـ إذاً، ليس أمامنا خيار آخر. سأقلّك إلى فندق «القرصان» حيث سيؤمّن لك آل غرفة تقضين فيها الليلة. في الغد تستقلين سيارة أجرة إلى المطار وتعودين إلى ديارك على متن أول رحلة، ما رأيك؟

لم يكن بيد جيمينا حيلة.

ـ حسناً، اتفقنا.

لمعت عيناه وقال بنبرة جافة أقرب إلى التوبيخ: «لا داعي لأن تبالغي في شكري».

أجابته على مضض: «شكراً لك».

تابع وقد صرف انتباهه عنها: «هل رأيت يا فيوليت...؟».

في هذه الأثناء، فتحت البوابات ودخل منها رجل أسود طويل القامة، يرتدي بزّة بيضاء مروّعة. تقدم نحوهما وابتسامة عريضة تنير وجهه: «مرحباً يا نايل، لقد احتال عليك آل لتنقل له هذه البضاعة، أليس كذلك؟ ننتظره عند

البوابة. أجلبت الشاحنة؟».

هزّ نايل رأسه: «الرانج روفر».

ـ حسناً، اجلب السيارة، فعلينا نقل الكثير من البضائع.

سأل نايل جيمينا: «أين وضعت أمتعتك؟».

أشارت إلى الحقيبة الموضوعة أمام كشك القهوة.

ـ أهذا كل شيء؟

تقوّس حاجبا نايل تعجباً، فيما أجابته بنبرة جافة: «نعم».

ـ أتسافرين من دون أمتعة؟

ـ وما عساي أحتاج لعطلة في جزر الكاريبي؟

لم تشأ التفكير في أنّ الملابس التي أحضرتها معها تصلح لشتاء أوروبا القاسي. كانت تنوي شراء ثوب سباحة وبضعة سراويل قصيرة من المطار، لكنها لم ترغب في أن تقرّ للسيد «متعجرف» بخطئها هذا.

ـ ما تحتاجينه هو غرفة في فندق. أم أنك اعتدتِ النوم حيثما اتفق؟

كادت جيمينا تصحح له الفكرة التي كوّنها عنها لكنها لجمت نفسها، فقد وجدت لنفسها حجة غياب مثالية. وإذا ما نجح باسيل باللحاق بها إلى البتكوست، فيستحسن أن يظنها الجميع طالبة تجوب العالم. وإن حاول باسيل البحث عن عارضة أزياء عالمية فلن يجدها في البتكوست! مستحيل!

ما كان منها إلاّ أن أمالت رأسها إلى الخلف لتقرأ في عينيه نظرة استخفاف.

ـ أذهب إلى حيث تحملني الريح، أيقلقك ذلك؟

بدت عيناه لبرهة قاتمتين وكأنه أمير أهانه مواطن من العامة. لكنه استعاد إحساسه بالمكان والزمان، فانفجر ضاحكاً.

ـ أنتِ تجيدين فعلاً إغاظة الرجال، أليس كذلك؟ لا علاقة لي بطريقة حياتك، والحمد لله. هيا أيتها المسافرة الجامحة، فلنجد لك غرفة قبل أن أشرع

www.elromancia.com

في تحميل البضاعة.

بعدئذ، سحب الحقيبة وحملها على كتفه بخفة ورفع يده صوب كشك القهوة.

ـ إلى اللقاء يا فيوليت.

خاطبت فيوليت جيمينا قبل أن تودّع نايل: «سيعجبك فندق «القرصان»، استمتعي بإقامتك فيه».

قطع الرجلان القاعة بخطوات واسعة وخرجا من البوابة الرئيسية وهما يتجاذبان أطراف الحديث، وقد صرفا اهتمامهما عن جيمينا التي تبعتهما رغماً عنها.

ما إن خرجت جيمينا من قاعة المطار المكيّفة حتى لفحها هواء ساخن، واستنشقت رائحة وقود الطائرات. تسمّرت في مكانها وهي تكاد تتقيأ، فتوقف المدعو نايل بدوره ليرميها بنظرة خاطفة.

ـ هل أنت بخير؟

ـ نعم.

كانت بخير حقاً. فبعد مطر لندن وبردها، أحسّت جيمينا بالحرارة تلفّها وتنفذ إلى عمق أعماقها.

أخذت نفساً عميقاً ولحقت به فيما توجّه الرجل الذي يرتدي الزي الأبيض إلى بوابة فولاذية عالية.

فتح نايل باب سيارة الرانج روفر ووضع الحقيبة على مقعد الراكب.

ـ ستضطرين لإسناد قدميك عليها فالمقعد الخلفي محجوز للفافات ورق اللعب وأكياس القهوة.

سوّى المقاعد الخلفية وبسطها فيما صعدت جيمينا إلى السيارة. اتجه إلى مقعد السائق وانطلق ما أن فتحت البوابة. لاحظت جيمينا أنه يقود بمهارة لم

تتوقعها من شخص غير مبالٍ مثله. وركن السيارة بدقة قرب الصناديق.

ـ أنت سائق ماهر فعلاً، أليس كذلك؟

لم تستطع جيمينا كبح هذا السؤال. فأجابها بسخرية: «بين الفرار من الشرطة، وتوصيل الركّاب تعلّمت».

ـ أيسعني مساعدتك؟

عرضت عليه خدماتها بعد أن ألقت نظرة على البضائع المتراكمة خلفها.

ـ أتريدين تحميل البضاعة؟ شكراً لك. سأنتهي منها بسرعة إن تدبّرت أمرها بمفردي. إنما أشكرك.

ثم ابتسم لها ابتسامة عريضة.

يبدو جذاباً جداً عندما يبتسم.

ترجل من السيارة، فشعرت جيمينا بالدم يتدفق إلى وجنتيها مجدداً. أنّبت نفسها لهذا الاضطراب وراحت تراقبه يحمّل البضائع بسرعة. إنه ماهر بالفعل وسينجز مهمّته أسرع مما لو قدّمت له العون.

قطبت جبينها. كيف عساه يجمع بين الرجل اللاهي، شبه العاري والسائق الدقيق الذي يجيد تحميل البضائع بطريقة عملية؟

ضحكت لهذه الأفكار السخيفة. ليس بالضرورة أن يخفي الناس حقيقتهم إن كانت هي نفسها تهرب من باسيل.

يبدو واضحاً أنه يتحلى بقوة كبيرة، هذا ما خطر لجيمينا فيما كانت تمعن النظر في عضلات ذراعيه.

يا لهذه الأفكار السخيفة لا سيما وقد قطعت وعداً على نفسها بألاّ تخشى رجلاً في حياتها. يجدر بها أن تضع حدّاً لأحلام اليقظة التي تراودها حول هذه القوة المذهلة وأن تركز على اسم تختاره لنفسها. إذا قررت أن تضع جيمينا دار، عارضة الأزياء العالمية في علبتها لأسبوع، فحريّ بها أن تجد اسماً آخر بسرعة.

ـ عليك أن تطلعيني على اسمك، أدعى نايل.

كانا يقطعان طريقاً عبّدت مؤخراً عندما فاجأها بسؤاله.

ـ هذا ما استنتجته.

أجابته جيمينا بنبرة جافة قبل أن تكمل بسرعة: «جاي جاي كوبر».

كانت لتنجح في أيّ اختبار لكشف الكذب. إن «كوبر» شهرة والدتها وجاي جاي الاسم الذي تدللها به عائلتها.

ـ أهلاً بك في البنتكوست يا جاي جاي. هل تترددين إلى هنا غالباً؟

تذكرت جيمينا المرة الأخيرة التي قصدت فيها جزر الكارايب في تشرين الثاني الماضي في جلسة تصوير لحساب شركة بليندا. كانت قد أحضرت معها الكثير من الحقائب ولم تخرج من جناحها إلاّ وقد صفّفت شعرها وتبرّجت.

كبحت ابتسامة كادت ترتسم على ثغرها قبل أن تجيبه بمرح: «من وقت إلى آخر».

ـ للعمل أم للاسترخاء.

ـ أتيت هذه المرة للاسترخاء.

ـ كيف تمضين وقتك عندما لا تتنقلين من بلد لآخر؟

لم تكن جيمينا مستعدة للإجابة عن هذا السؤال.

ـ ما من شيء مهم. القليل من كلّ شيء.

رماها بنظرة تجمع بين السخرية والريبة في آن: «ماذا تقصدين بكل شيء؟».

أجابته بصدق: «عملت فترة كنادلة...».

في الواقع، لقد عملت كنادلة حين كانت تلميذة.

لم يرضه هذا الجواب وانتظر المزيد، فراحت تستعرض المغامرات التي روتها لها إيزي: «عملت أيضاً في سفن سياحية، وطبعت على الآلة الكاتبة، وشغلت وظائف مختلفة لأسدد براتبها الإيجار».

ـ تقصدين لتؤمني مصاريف سفرك المستمر؟

ـ أعتقد ذلك.

قال وهو يومىء برأسه: «أنا أيضاً».

ـ ماذا؟

بدت نظراته مختلفة. كانت أعمق وأبلغ وكأنه يأخذها أخيراً على محمل الجدّ من دون أن يمنحها ثقته بالكامل. تململت جيمينا في جلستها وقد أحسّت فجأة بانزعاج، لم تكن لتشعر به حتى وإن لمسها.

اكتفى بالقول: «أنا عامل يحب التنقل أيضاً».

أحست جيمينا بالنار تتأجج في داخلها عند سماعها كلمة «أيضاً» لكنها سرعان ما تذكرت أنها أرادت منه أن يكوّن هذه الفكرة عنها. لم تكن تأبه البتّة برأيّ متبطل يصرف نهاره في التسكّع على الشاطىء، أليس كذلك؟

كانت لا تزال تفكر بهذا عندما بادرها بسؤال آخر: «لقد جبت العالم لأكثر من خمسة عشر عاماً. لعلنا قصدنا الأمكنة ذاتها».

ركزت جيمينا انتباهها، وأجابته بصوت أجش: «نعم، على الأرجح».

ـ يجدر بنا مقارنة قصصنا ومغامراتنا.

ـ آآآ، أجل.

ـ الليلة؟ سنتناول العشاء في الفندق ذاته. لِمَ لا نتقابل في الملهى لنأكل سوياً؟

ـ عظيم.

تفاجأت جيمينا كيف لم يتنبه لحماستها المبالغ فيها.

وأكمل بمرح: «فلنعتبره موعداً».

كانت جيمينا على وشك الصراخ. كم هذا مذل! لم يمرّ على وصولها إلى جزيرة «الدمى» سوى بضع ساعات وها هي الآن تخطىء بتحديد موعد لا ترغب فيه مع رجل لا تستلطفه، رجل أشبه بمحاكم من عصر النهضة ذي نظرة

www.elromancia.com

قاسية متفحصة لا يتقبّل أن يُكذب عليه.

فكّرت جيمينا في سرّها وهي تتأجج غضباً: «ستكون مهمتي شاقة هذه الليلة».

راحت تحدق أمامها إلى الطريق التي تلمع في قيظ النهار وقطعت وعداً على نفسها بأن تمسك في اليوم التالي بزمام الأمور بشكل أفضل.

ـ أتناسبك الساعة السابعة؟

أخذت جيمينا نفساً عميقاً.

مثّلي يا جيمينا، أوليس التصنع من اختصاص عارضات الأزياء؟ أنت تبلين حسناً في التمثيل. أوليس هذا ما قاله لك فرانسيس هال سميث بالأمس؟

رماها ثانية بتلك النظرات العميقة التي هزّت كيانها فشعرت بوخز خفيف في أنحاء جسدها كله. كانت تشعر به يستجدي نظرة منها، وأيقنت أنه لن يسهل عليها مقاومته.

ابتلعت بريقها وأجابته: «أتطلع إلى هذا اللقاء».

أنارت وجهه ابتسامة أدركت جيمينا أنها غامضة حتى وإن لم تكن تنظر إليه، فشعرت بحرارة تسري في جسدها كلّه وليس وجهها فحسب.

وأجابها بنبرة عذبة: «ليس بقدري».

٣ ـ خطوة خطوة.. نحو الخطر

تفاجأت جيمينا عندما وصلت إلى فندق «القرصان»، فقد هيأت نفسها لرؤية بقعة فظيعة تشوّه هذا البحر الفيروزي.

قالت وقد استوت في جلستها وبدت الدهشة على محيّاها: «يا لهذا المكان الخلاّب!».

تمتم نايل: «سيطير آل من الفرح!».

كان الخليج رائعاً يعانقه شاطىء عاجي يخلب الألباب. لاحظت جيمينا فيما أخذت السيارة تنزل التلة نحو البحر، أنها لا ترى سوى مبنى واحد من كل زاوية؛ حتى أن الكازينو نفسه الذي رأته جيمينا من الطريق العام، يحاكي مزرعة إسبانية من حيث السحر والحميمية، ويتوارى وسط أشجار النخيل.

ـ عجباً، ما من أضواء ولافتات!

ـ حين تشيدين كازينو في مكان مماثل، فإنك تسوّقين لأسلوب حياة معين.

لم ينظر نايل إليها لكنها استشفّت السخرية والتهكم من تقوّس كتفيه.

سألته جيمينا بنبرة تحمل انفعالاً واضحاً: «هل أنت ضليع في المقامرة؟».

التوت شفته بابتسامة خاصة: «إذا شئت».

أيقنت جيمينا أنّ الرجل يسخر منها لكنها لم تجد طريقة لمعالجة هذا الوضع.

تابعت: «لا أقامر».

انفجر مقهقهاً.

www.elromancia.com

سألته ببرودة: «تستمتع بسلب الناس نقودهم أليس كذلك؟».

ردّ ضاحكاً وهو ينظر من النافذة إلى الطبيعة الأخاذة حولهما: «ولن أكتفي يوماً من هذه اللعبة».

ما كان من جيمينا إلا أن أشاحت بوجهها وراحت تكحل عينيها بالمناظر الطبيعية في الخارج.

قاد السيارة في درب ملتوية بين شجيرات كثيفة وأبنية افترشت جدرانها العرائش. كان البحر يتراءى أمامها تارة ويختفي طوراً، فيما بدت الشمس متألقة.

ـ هذا مدهش بحق. فما إن تنزل التلة حتى يخيّل إليك أن الأبنية كلها تنصهر في مبنى واحد.

ـ حاولي أن تكبتي دهشتك هذه أمام آل وايللي. فقد عملا بدأب ليخلصا إلى هذا المشروع الضخم الذي يفخران به.

لم يتسنّ لجيمينا تهنئة مدير الفندق على هندسة المناظر الطبيعية التي زينت المتنجع السياحي. فما إن وصلا إلى رواق الفندق حتى اعترضتهما امرأة قصيرة القامة، كانت تضرب الأرض برجلها كمن نفد صبره. لم تعر المرأة جيمينا أيّ اهتمام وانبرت تقرّع نايل.

ـ ها قد وصلت أخيراً يا نايل. لمَ تأخرت بحق السماء؟ لقد نفدت المؤن من المطبخ، وتأخرنا ساعة عن تقديم العَشاء. هل تفهمني؟

أجابها والابتسامة تعلو شفتيه: «آسف يا إيللي. اضطررت إلى نقل بعض البضائع الإضافية».

أومأت السيدة القصيرة إلى جيمينا ومرّت بها كالسهم من دون أن تعيرها أي أهمية. بعدئذ، راحت تقلّب البضاعة في السيارة وكأنها فأرة ضخمة.

ـ إيللي صاحبة النزل. سأعرفك إليها لاحقاً. ها هو آل، الذي سيتدبر لك

غرفة.

كان آل أكثر لطفاً من المرأة.

ـ غرفة؟ بالتأكيد، هل أنت من هواة الغطس أو المقامرة؟

سألته جيمينا وقد أخذت منها الدهشة كلّ مأخذ: «لا هذا ولا ذاك، أهذا شرط أساسي لأحجز غرفة في هذا الفندق؟».

ـ كلا، إنما يتوافد النزلاء إلى هذا الفندق إما للغطس أو للمقامرة.

قرأ نايل الحيرة على محياها، فشرع يشرح لها بلطف: «الأمر يؤثر على اختيار آل للغرفة».

ـ ماذا؟

ـ يستيقظ الغطاسون باكراً فيما يأوي المقامرون إلى الفراش في وقت متأخر لذا يفصل آل المجموعتين لئلا تزعج إحداهما الأخرى.

ـ يا لذكائه!

لم يكن آل يتمتع بجاذبية نايل ولكنّ ابتسامته تنمّ عن لطف وودّ.

ـ إنه أسلوب فعّال بحق.

بعدئذ، تناول حقيبتها وتوجه إلى الردهة الصخرية الرائعة، تاركاً إيللي بمفردها تفرغ المؤن التي تحتاجها.

سألها بمرح: «إذاً، أين تريدين المبيت؟ مع الغطاسين أم المقامرين؟».

أجابته جيمينا من دون تردد: «يستحسن أن أنضم إلى عائلة الغطاسين».

أخرج آل بطاقة تسجيل ووضعها على المكتب. فما كان من جيمينا إلاّ أن انتقت قلماً وأخذت تملأ الاستمارة. ولم تغب عنها نظرة التواطؤ الغريبة التي تبادلها نايل وآل.

لاحظت جيمينا أن نايل تقدم خطوة منها. لم تتوقع أن تجده قريباً منها، يوشك أن يلمسها. وفجأة، تحكّم نايل بتعابيره. وهذه ليست المرة الأولى التي

تمسي فيها ملامحه قاسية جليدية لتتوارى خلفها أفكاره، كما خطر لجيمينا.

بدت عيناه قاتمتين. وخيّل إليها للوهلة الأولى، أنها تستطيع قراءة أفكاره. استشفت حيرة وارتباكاً ثم استغراباً. أمال برأسه إلى الخلف وكأنه أدرك أنها استطاعت أن تلج إلى أعماقه، رغم القناع الجليدي الذي احتمى وراءه.

التقت عيونهما وغرقا في تأمل بعضهما البعض وقد خانتهما الكلمات. وسرت قشعريرة في جسدها.

«انتبهي يا جيمينا، هذه ليست بالفكرة السديدة».

وضعت القلم على الطاولة وابتعدت عنه.

قال آل الذي انهمك في معاملات الحجز فلم يلاحظ ما دار من حوله: «بطاقة الاعتماد من فضلك».

وللمرة الأولى، تبادل نايل وجيمينا نظرة تواطؤ. مدّت جيمينا يدها لتناوله البطاقة. وانتبهت، بعد فوات الأوان إلى أن اسمها الحقيقي مدوّن عليها، فشعرت بتوتر عارم. لكن آل لم يبدِ أي تعليق.

ـ وقعي هنا.

وبعد أن تأكد من توقيعها أعاد إليها البطاقة.

استعادت جيمينا هدوءها. فأصحاب الفنادق معتادون على رؤية نساء يوقّعن بغير أسمائهن، كما يترتب عليهم أن يكونوا كتومين.

ـ غرفة رقم ٤٠٩. عذراً، يجدر بي القيام بجولة سريعة الآن. ثمة حفلة هذا المساء.

قال نايل ببساطة: «إن شئت، سأرشد جاي جاي إلى غرفتها».

تلاشت تلك المشاعر المتقدة التي قرأتها في عينيّ نايل الذي عاد للضحك والمرح. وفكرت جيمينا في سرّها أن هذا أفضل.

قطّب آل، ثم بادرهما بابتسامة محزنة: «آسف يا جيمينا، لا نستخدم النزلاء

في العادة. لقد خرجت اليوم الأمور عن السيطرة».

ألقت جيمينا نظرة سريعة إلى نايل قبل أن يتجهّم وجهها: «نزيل؟».

لم تصدق أذنيها. أيعقل أن يكون هذا القرصان بسرواله القصير القطني نزيل في هذا الفندق؟ هنا؟

أجابها بنبرة جدّية متفاخرة: «بالفعل. يسمح لي آل بالبقاء هنا لقاء تنظيف الغرف».

احمرّت وجنتاها خجلاً. كانت تعابير وجهه لطيفة لكنها علمت أنه يسخر منها. ثانية!

أجابته بتحفظ: «إن كنت سترشدني إلى غرفتي، فسيسرني أن توصلني إليها الآن».

ـ بالطبع آنستي، رافقيني.

أراد أخذ الحقيبة من آل إلاّ أن جيمينا كانت قد سبقته. أحسّت أنها تريد إثبات شيء ما له لكنها لم تعلم ما هو.

صاح بهما آل: «أراكما هذا المساء».

ولم يحاول، هذه المرة، كبت الابتسامة العريضة التي علت شفتيه، إلاّ أن جيمينا تظاهرت بأنها لم ترَها. قادها نايل إلى غرفتها وهو يتهادى بمشية رشيقة فيما أخذ يعرّفها على المكان.

ـ هنا المقهى، حيث سألقاكِ هذا المساء. وهذه الحديقة حيث يتناول النزلاء العشاء. يسعنا الانتقال إلى الداخل إذا ما هبّت ريح عاتية. هذه بركة السباحة وتجدين أخرى على التلة قرب كوخي. هذا مبناك.

وقف جانباً لتتقدمه وترتقي السلالم التي أوصلتهما إلى ممر مفتوح وسط الأشجار.

سألته جيمينا وقد أصابها الذهول: «أهذا كوخك؟ أتعني أن غرفتك

www.elromancia.com

معزولة عن غرف المقامرين؟».

أجابها نايل: «لديهم ثلاثة أو أربعة أكواخ في الحديقة، وهذا أفضلها، يحافظ على خصوصية النزيل».

سرت في جسدها قشعريرة غريبة أيقظت في نفسها حذر مبهم. لن تسأل عن سبب حاجته للخصوصية ولم تشأ حتى التفكير في الموضوع.

أردف نايل يطمئنها: «لا بأس بالشقق أيضاً. سترين بنفسك».

وارتقى السلالم بخفة حتى وصل إلى مكان في الهواء الطلق مزدان بنباتات ضخمة.

ـ تجدين هنا مفتاح الكهرباء.

أجابته جيمينا فيما كانت تصعد السلالم لاهثة، وهي تلعن كبرياءها وغرورها: «شكراً لك».

أحست بحقيبتها ثقيلة وكأنها تزن طناً. إلا أن نايل لم يعرها انتباهاً بل تابع طريقه بخفة حتى بلغ آخر الممر حيث الغرفة ٤٠٩. أدخل البطاقة فسمعت جيمينا الباب يفتح.

ـ أكره هذه الأشياء. إذا طرأ عطل في التيار الكهربائي، فيتعذر عليك دخول الغرفة.

أجابته جيمينا التي نفد صبرها: «أو الخروج منها».

تمتم نايل: «في بعض الأحيان لا بأس بذلك».

رمته بنظرة قاسية: «انسَ الأمر، لا أتأثر بتلميحات تلميذ مراهق».

ـ واأسفاه!

ـ إذا ما طرأ عطل على بطاقتي وعجزت عن الخروج من الغرفة، فسأستعين بأنبوب التصريف.

ـ أنا متأكد من ذلك.

لم تكن تثق بتينك العينين الآن أكثر من أي وقت مضى، كما كرهت لياقته البدنية العالية.

ـ أنا جادة.

ـ حسناً، لن آخذك في جولة في الغرفة أو إلى الشرفة الساحرة، لكنني سأكتفي بالأمور الأساسية. هذا المكيّف وهذه المظلة، فالمطر يسقط غزيراً في هذه الجزيرة وإن كان لا يدوم طويلاً. تجدين هنا الشموع في حال انقطع التيار الكهربائي. ها هو المصباح الكهربائي.

راح يجول في الشقة ليعرفها على زواياها وتفاصيلها ثم أخرج مصباحاً أسود أشبه بسلاح مؤذٍ وربّت عليه بلطف وهو يتابع: «لا تخرجي أبداً من دونه، ولا تنسي أن الليل يهبط باكراً في هذه الجزيرة».

أجابته جيمينا بحذر: «شكراً لك».

ـ لكن لا حاجة لإخبارك بهذه المعلومات، أليس كذلك؟ فأنتِ مسافرة متمرّسة.

ارتسمت على وجهها ابتسامة عذبة متوعّدة: «إنما أحبّ أن أجد من يذكرني بما علي فعله في حال نسيت. أحب الرجل الذي يحيطني بحنانه وحبّه فأشعر معه بالأمان».

زمّ شفتيه وكأنه يطلق صفارة صامتة.

ـ هل أصبت وتراً حساساً؟

كانت جيمينا غاضبة من نفسها. فهذا الرجل يزعجها بعقدة الفوقية التي يعاني منها لكنه لا يشبه باسيل الذي اعتاد أن يملي عليها أفعالها ويهدد بأذيتها إذا لم تنفّذ أوامره حرفياً.

ـ لم أفهم قصدك.

أجابها بهدوء: «أقصد أنك لا تجيدين التصرف مع الآخرين».

أحست جيمينا بالغضب يعتمل في صدرها. لن تقبل بأن يحطمها رجل أحمق سواء أكان نزيلاً في هذا الفندق أم لا؟

ـ ماذا قلت؟

ـ مدهش بالفعل.

كان من الوقاحة والجرأة بحيث راح يتفرّس فيها وكأنها فصيلة جديدة من البشر لم يصادفها في حياته.

أجابته جيمينا ببساطة: «وداعاً».

ـ أنت لا تقصدين ذلك.

ـ وداعاً.

ـ لكنك لم تشاهدي بعد...

ـ لا يهم، سأراه بنفسي لاحقاً. شكراً لك.

توجهت نحوه بخطى واثقة مصممة لكنه لم يتراجع. لم تكن واثقة من أنه سيخرج باحترام.

ـ لا تسمحين لجيرانك من الشبان بالترحيب بك كما يجب.

بادرته جيمينا فيما تابعت تقدمها نحوه: «شكراً لك، أقدّر مجهودك بحق».

أجابها نايل وقد تراجع نحو الفناء: «لا تقولي وداعاً إنما إلى اللقاء».

تسمّرت مكانها، وقد أخذت منها الدهشة كل مأخذ: «ماذا؟».

ارتسمت على ثغره ابتسامة عريضة جذابة تنمّ عن ثقة بالنفس. وذكّرها بنبرة عذبة لطيفة: «اتفقنا على تناول العشاء هذا المساء، لا تنسي وإلا صعدت بنفسي لاصطحابك».

وانسلّ خارج الغرفة قبل أن تتمكن من إجابته.

ما إن سمع نايل الباب يغلق خلفه حتى توقف عن التبختر ليعود كالسهم إلى مكتب الاستقبال. نظر إليه آل والدهشة بادية على وجهه.

بادره نايل بنبرة جافة: «سنتناول العشاء يا آل. أحتاج إلى طاولة منعزلة».

أضاءت ابتسامة محيّا آل: «أتريد قضاء أمسية رومنسية مع الآنسة كوبر النكدة؟».

ـ سأتفاجأ إن كانت شهرتها «كوبر»، أو إن كانت قد قالت كلمة صحيحة واحدة. أرني سجل الجوازات.

قال آل والابتسامة لا تفارق ثغره: «عجباً، لقد أثّرت فيك فعلاً».

ـ إنها تجيد التلاعب بمن حولها. لقد تزوج أبي مرات عدّة وعرفت خالات كثيرات. أنا أفهم جيداً هذا النوع من النساء. أحتاج إلى بطاقتها من فضلك.

لم يصدق آل أذنيه: «أترغب في تناول العشاء معها لأنها تشبه زوجات أبيك؟».

هزّ نايل كتفيه قبل أن يميل فوق المكتب ليخطف البطاقة من ملف آل ثم تفحصها وقد تجهم وجهه.

علّق نايل شارد الذهن: «كنت محقاً».

ـ هل تستلطفها؟

ـ جيمينا دار.

راح نايل يردد الاسم نفسه ليحفره في ذاكرته: «جيمينا جاين دار، سأجد ما تخفينه».

هزّ آل رأسه وقد تملّكته الحيرة: «لِمَ تتكبد هذه المشقة كلها؟».

أجابه نايل بتردد: «لا أحب أن يتلاعب بي أحد».

رفع آل ذراعيه مستسلماً وقد تخلى عن أي محاولة لفهم صديقه القديم.

ـ هذه حياتك الخاصة. سأحجز لك طاولة في الحديقة، وسأخبر إيللي.

لم تتكبد جيمينا عناء ترتيب أمتعتها. انهارت على سرير واسع يكفي لعائلة من ستة أفراد وغرقت في سبات عميق. كان الليل قد أرخى سدوله عندما

استيقظت. شعرت لبرهة بالحيرة لأن النافذة لم تكن في مكانها المعتاد، ولم تستطع إيجاد مفاتيح الكهرباء، ناهيك عن الرائحة الغريبة التي فاحت في المكان... وأخيراً استيقظت وعادت إلى أرض الواقع فتذكرت المشكلة التي يتعيّن عليها حلّها.

لقد هربت من باسيل وتخلّصت من نيره لتقع بين ذراعي نايل المقامر. جافى النعاس أخيراً مقلتيها فراحت تتلمّس الطاولة قرب السرير بحثاً عن مصباح وساعة.

كانت الساعة قد قاربت السابعة مساءً. لا بد من أن تتأخر قليلاً عن الموعد، فهذا حقها كامرأة.

وتحركت على السرير لتتناول حقيبة الزينة خاصتها، إلا أنها لم تشأ أن تتزين لموعدها مع نايل. كانت ترغب بالأحرى في إخفاء معالم الأنوثة لديها لأنها لا تريد أن تحظى بمعاملة خاصة هذا المساء. لن يفتح لها نايل الأبواب ولن يمسك لها الكرسي والأهم من هذا كله، لن يغازلها. أرادته أن يتذكرها كمسافرة قبيحة، لن تترك أثراً في نفسه.

لم تكن جيمينا تحتاج إلى التبرج أو إلى الثياب الفاخرة لتبدو في أجمل حلّة. اكتفت بحمام سريع أزال عنها غبار السفر، فتألق شعرها كغيمة حمراء ذهبية. بدا برّاقاً أخاذاً حتى بعد أن رفعته كيفما اتفق إلى أعلى رأسها. همهمت جيمينا وهي تغرز دبوساً آخر في رأسها بما أوتيت من قوة حتى اهتزّ كيانها ألماً.

تناست غرور عارضة الأزياء ونظرت إلى نفسها في المرآة، فعلمت أنها لن تكون يوماً امرأة قبيحة بسيطة. ستضطر إذاً لمعاملته بجفاء لتنجح في صده! وبما أنّ هذا المتبطل المقامر لا ينتمي إلى نادي معجبيها ولا ينشد رضاها، فلن تكون الخطة صعبة.

إلا أنها لم تنسَ بعد تلك الشعلة الفريدة التي جذبتهما إلى بعضهما البعض في المطار كما لو أنهما غرقا في عيني بعضهما البعض في لحظات غريبة آسرة.

أما الآن فقد أصبحت مستعدة لصد أي هجوم. لن ينجح في تحريك مشاعرها الدفينة!

تأخرت نصف ساعة عن الموعد. وكان المقهى مزدحماً بالزبائن.

أخذت جيمينا تجيل النظر في ما حولها، ترمي النسوة بنظرة خبيرة متفرسة، فلم يقع نظرها على واحدة ترتدي آخر صيحات الموضة وإن كنّ أنيقات بالفعل، حتى أن بعضهنّ تزيّن بمجوهرات مذهلة فعلاً.

لا بدّ أن النزلاء ميسورو الحال. أتحرّق شوقاً لأعرف كيف يتأقلم هذا المتبطل المقامر نايل مع هذه الطبقة من الناس.

تفحصت جيمينا المقهى بحثاً عن نايل وجفّ حلقها. كان لرؤيته متأنقاً على هذا النحو وقع أقوى وأبلغ من المغازلة.

لم تكن قد خبرت يوماً هذا الشعور الغريب الذي اعتراها فجأة. كان شعوراً جديداً، فهل يسعها تحمله؟

شلّت الحركة لبرهة في جسمها، ولم تعد تعرف ما العمل.

رفعت جيمينا يديها إلى صدغيها. كانت على وشك أن تستدير على عقبيها وأن تفرّ بعيداً. ولعلّ الصراع الذي ضاق به صدرها انعكس على وجهها، إذ تسمّر نايل في مكانه يراقبها وقد تقوّس حاجباه في تعجب أخرس.

هذا سخيف بالفعل، إذ يسعها التحكم بالموقف. تماسكت جيمينا، وقالت لنفسها: «لن أخشى رجلاً في حياتي. أي رجل كان».

تقدّمت من دون أن تسمح لنفسها بالتفكير ثم بادرته قائلة: «مرحباً، هذا المكان مزدحم بالفعل، أليس كذلك؟».

تغضّنت عينا نايل بابتسامة مرحة ثم أشار بيده بحركة لامبالية قبل أن يسأل: «لم تعرفيني على الفور».

ـ ليس للوهلة الأولى. تعكس هذه المصابيح ضوء غريباً فعلاً.

تراجعت جيمينا بضع خطوات إلى الوراء وأخذت تنظر إليه نظرة متفحصة كما ينظر المصوّرون إلى عارضة مشهورة غير واثقين من مؤهلاتها.

كانت تتوقع أن يغضب منها، لكنه أطلق ضحكة مدوّية وكأنه يستمتع بهذه المحادثة.

ـ أنت فعلاً لا تقدرين بثمن.

ناولها كأس شراب، فنظرت إليه مشككة: «ما هذا؟».

ـ إنه شراب القرصان.

لم تستطع جيمينا كبح الغضب الذي تأجج في داخلها: «وأنت تعرف أكثر مني ما أودّ تناوله؟».

بدت أمارات الدهشة جلية على وجه نايل: «كلا، هذا من اختصاص الفندق وهو يقدّمه أولاً للزبائن مجاناً».

وعلى الفور، خمدت تلك الثورة المتأججة في نفس جيمينا وقد خجلت من نفسها.

قالت بحرارة بعد أن ضحكت ضحكة واهنة: «أنا آسفة».

ابتسم لها لكنها قرأت وراء هذا القناع الباسم حيرة.

ـ ماذا؟

أجابها ببطء: «أنتِ مثال التناقض».

سألته مدهوشة: «أنا؟».

وتفحصت تعابيره بحثاً عن النظرة الساخرة لكنها لم تجدها.

ـ لِمَ تقول هذا بحق السماء؟

ـ حسناً، تغضبين لأتفه الأسباب، وتستعدين لشنّ هجوم كلما نظرت إليك، ثم تهدأين فجأة وتعتذرين حين تدركين أنك مخطئة.

تفاجأت جيمينا لرؤية نفسها تحمرّ خجلاً كما لو أنها تلقّت إطراء لطيفاً!

كما لو أنها خجولة بطبعها!

استجمعت قواها، وسوّت جلستها.

جيمينا دار هادئة الأعصاب، هادئة، هادئة، هادئة! إنّ هذا الغريب الضاحك يجهل مع من يتعامل، لكن ليس لوقت طويل. يا إلهي، سيتعرّف بالتأكيد على جيمينا دار الحقيقية!

نظرت إليه نظرة ازدراء واستخفاف: «لا أرى ما التناقض في الأمر».

أرجع رأسه وكأنها طعنته فجأة في قلبه، ثم سألها بفتور: «وهل أستحق الشنق إذا نظرت إليك؟».

ـ لا تكن سخيفاً!

كان بالطبع يستحق الشنق، نظراً للطريقة التي يحدق بها إليها. لم تحمرّ وجنتاها خجلاً هذه المرة مع أنّه لم يسهّل عليها الأمر وراح يرميها بنظرة ثاقبة مصممة.

قال من غير تردّد: «ضعي نفسك مكاني».

كان من الصدق ما جعلها تنزعج فأشاحت بنظرها عنه فيما ضجّ رأسها بألف سؤال وسؤال: لما تنظر إلي على هذا النحو؟ لما تحاول السخرية مني؟ ماذا تريد مني؟

طال الصمت وثقل. وكان عليها أن تكسره، لكنها لم تجد الكلمات المناسبة.

ـ حسناً، هذا لأنني لا أعرفك حق المعرفة.

لم يعلّق بايل لكن الرضى بدا جلياً على وجهه.

أجفلت جيمينا. لم تكد الكلمات تصل إلى شفتيها حتى لعنت نفسها على تسرّعها، فقد حملت كلماتها دعوة صريحة ليقضيا السهرة سوية.

بدا وكأنه يفكر بالأمر نفسه أو أنه اختار أن يفهم تعليقها على هذا النحو،

www.elromancia.com

فبادرها بابتسامة لطيفة: «لا بأس، دعينا نبدأ من الصفر. أدعى نايل بلاكثورن».

قال هذا كما لو أنهما يلتقيان للمرة الأولى، وابتسامة جذابة لا تفارق ثغره.

ثم مدّ يده، مضيفاً: «مرحباً».

لم تكن تعلم ممن تغضب أكثر، أمن نايل بلاكثورن لأنه يتلاعب بها أم من نفسها لأنها تعجز عن الإمساك بزمام الأمور؟

كانت يده باردة قوية، فسرت قشعريرة في أناملها عندما صافحته. ابتلعت بريقها وحاولت تجاهل الصوت الذي تعالى في أذنيها.

ـ سأبقى في فندق «القرصان» حتى نهاية الأسبوع، وأنتِ يا آنسة كوبر؟ أم أناديك جاي جاي؟

سرت رعشة في جسم جيمينا التي أمسكت بكأس الماء بكلتي يديها.

ما كان عليها أن تعطيه اسم الدلال. فعندما نطقه بهذا الصوت الخافت، بدا حميماً جداً.

وحدها أختها تناديها بجاي جاي. وعندما سمعته يناديها على هذا النحو، أيقنت أنها سلمته مفتاحاً ودعوة صريحة ليكتسح حياتها. وكانت شبه متأكدة من أنه يعلم ذلك.

عضّت على شفتها: «نادني بما تريد فأنا راحلة في الغد».

ابتسم لها نايل ابتسامة عريضة بطيئة، أحسّت بها جيمينا تلسعها أسفل عنقها، وتضيّق الخناق عليها، فوضعت يدها لتهدىء من هذا النبض المتسارع الفظيع.

لم يغب عنه هذا الصراع، لكن الابتسامة لم تفارق ثغره.

أجابها بنبرة عذبة: «إذاً ليس أمامنا سوى الليلة، سأعتبرها تحدياً لي».

سألته والشرر يتطاير من عينيها: «ماذا تقصد بتحدٍّ؟».

ـ علينا ألا نضيع دقيقة واحدة من هذه الأمسية. هيا بنا.

تابع نايل وابتسامة غريبة تعلو ثغره، تركت جيمينا حائرة: «أنذهب؟».

كان يمسك بزمام الأمور بيد من حديد. وكم غضبت جيمينا من نفسها عندما وجدت نفسها ترافقه، خانعة كالنعجة.

عبرا البوابة ووصلا إلى الشاطىء حيث تكسرت الأمواج أمامهما في همهمة خافتة.

ـ تقصد هذا النوع من التحدي، نزهة رومنسية على الشاطىء. فكرة خلاّقة بالفعل!

قالت جيمينا هذا ثم أزاحت يدها عن عنقها وقد استعادت هدوءها ورباطة جأشها.

ـ لا تسخري من هذه الفكرة. انظري إلى هذه النجوم.

استشفت في صوته نبرة فرحة ضاحكة.

ـ يستحسن أن أجد وسيلة لئلا تزلّ قدمي.

إن سمعت رنة انتصار في صوته، لصارحته برأيها وانصرفت بكرامتها. لكنها لم تلحظ أيّ ازدراء أو تكبّر في عرضه بل بدا بريئاً. تباً له!

ـ أنتِ تمشين بخطى واسعة، انتبهي إلى خطاك.

وما كان من نايل إلا أن أمسك بيدها، فأشعلت لمسته النار في عروقها من جديد.

سمعت نفسها تجيب بصوت مبحوح: «شكراً لك».

كان النسيم عليلاً وبارداً لكنها حاولت ألا ترتجف من البرد. كانا يمشيان على الشاطىء، فأحست جيمينا بالبرد ينخر عظامها وينفذ إلى أعماقها.

توقّف عن السير وخلع سترته، ثم وضعها على كتفيها قبل أن يأخذ يدها

مجدداً ويدعوها إلى المضي قدماً.

ـ أتشعرين بتحسن؟

كانت السترة ثقيلة، تحيط بطانتها الحريرية ببشرتها العارية كمخلوق يضمّها بين ذراعيه يدللها ويحميها، لا سيّما من البرد! تخيلت جيمينا نفسها جالسة قرب المدفأة، تحتمي من البرد في ليلة عاصفة.

غمرها شعور عارم بأنها محبوبة. يا إلهي، أنا في مأزق حقيقي.

صاحت جيمينا عالياً من دون أن ترميه بنظرة: «رائع».

تشبثت بالسترة كما لو أنها معطف ملكي ولم تسلّمه إياها إلا مكرهة عندما ارتقيا السلالم المؤدية إلى حديقة المطعم.

ـ حجزت لكما طاولة هادئة.

بادرهما آل بذلك قبل أن يتبادل ونايل إحدى تلك النظرات الذكورية البليغة، التي لا يفترض أن تلحظها جيمينا إلاّ أنها أخذت حذرها.

سألت جيمينا نايل عندما تركهما آل: «لا بد من أنكما تعرفان بعضكما البعض منذ فترة طويلة».

نظر إليها وأمارات الدهشة جلية على محيّاه: «أنا وآل؟ أنتِ نبيهة فعلاً».

أحسّت جيمينا أنه لا يحب فيها هذه الصفة فردّت بنبرة لا تخلو من الاعتذار:

ـ تبدوان صريحين مع بعضكما البعض.

ـ حسناً، مرّ حوالي خمسة عشر عاماً منذ التقينا للمرة الأولى.

ـ تربطكما صداقة متينة إذن.

راح يحدّق إلى الشمعة الصفراء التي تحترق وقد جمدت تعابير وجهه: «ربما، تقريباً».

استفهمت جيمينا وقد بدأ الفضول يتآكلها: «تقريباً أصدقاء؟ ماذا تعني

بذلك؟».

فما كان منه إلاّ أن هزّ كتفيه استهجاناً قبل أن يجيب: «جلنا بلاد العالم لفترة طويلة وعشنا تجارب ومغامرات كثيرة سوية. أعتقد أننا صديقان، نعم».

ـ أخبرني عن هذه المغامرات.

نظر إليها على الفور. كيف غاب عنها هذا السحر الرجولي؟ اندهشت جيمينا عندما راحت تتفحصه على ضوء الشموع وقد تنبهت إلى أنه شاب جذاب فعلاً.

قال ممازحاً: «لقد طلبتِ قصة من ماضيّ الإجرامي! فلتتحملي إذاً العواقب».

روى لها مغامرة حين كان آل يافعاً، فيما كان نايل يكبره ببضع سنوات، ويفوقه خبرة في التغلب على الأشرار. إنما انتهى بهما المطاف في مخزن القطار منقوعين في الوحل طيلة ليلة كاملة ليختبئا من هؤلاء الأشرار.

راحت جيمينا تقهقه عالياً حتى أحست بألم في جنبها فضغطت عليه بيدها وهي تضحك.

ـ النساء قاسيات.

تذمّر نايل وقد جرحته سخرية جيمينا، لكنه سرعان ما شرع يروي قصة ثانية عن امرأة شهرت عليهما سلاحاً في عتمة جزيرة أخرى.

ختم بمرح: «كادت المرأة تلك تضع حداً لحياة آل المهنية».

سألته جيمينا وهي لم تعد تتحمل الألم في جنبها: «ماذا حصل؟».

ردّ آل: «أقنعها آل بتركنا فهو بارع في ذلك».

وبعد حين، عاد آل حاملاً عصير المانغا ولائحة بالأطعمة اللذيذة التي تحضّر في المطبخ.

رمت جيمينا لائحة الطعام بنظرة سريعة، فلم تصدّق عينيها.

بادرته بنبرة صادقة: «لا يسعني تناول هذه الأصناف كلها».

حاول آل إقناعها وقد بدا منزعجاً بحق: «إنه طعام لذيذ فعلاً».

ـ لا أتذكر آخر مرة دللت فيها نفسي بتناول الأجبان والتحلية.

أطلق نايل ضحكة مدوية، وقال: «سيري في الحياة خطوة خطوة وستفاجئين كم هي سهلة وبسيطة».

تجهمت جيمينا عند سماعها نصيحته إذ لم تكن متأكدة من أنه يقصد العشاء.

ـ يسيل لعابي لمجرد أن أستعرض هذه الأطباق اللذيذة. سأفقد رشاقتي إن لم أنتبه إلى نوعية الطعام الذي أتناوله.

سمع نايل نبرة الحزن في صوتها فابتسم لها إحدى ابتساماته الأخاذة ما ضاعف شكّ جيمينا وريبتها.

ـ حاولي، الأمر أشبه بالسير على الشاطىء. سيري بخطوات بسيطة، فتجدين نفسك قد بلغت هدفك.

تقوّس حاجباها غضباً، ولم تعد تشك في نواياه. كان يسخر منها ويحاول إغواءها لا محالة. فهل يظنها غبية؟

كانت ابتسامته هذه المرة لطيفة عذبة بكل ما في الكلمة من معنى.

وتوجه إلى آل: «ستطلب هذه الأطباق كلها، ولنرَ ماذا ستختار السيدة».

ـ إن السيدة واثقة مما ستختاره.

أجابته بتأنٍ وهي تنظر مباشرة إلى عينيه، قبل أن تتوجه إلى آل.

ـ أريد طبقاً من السمك والسلطة من فضلك.

ـ هذا مؤسف فعلاً، ربما تتذوقين أطباقنا الشهية في المرة القادمة.

بعدئذ، سأل نايل: «هل ستقصد الكازينو الليلة؟».

رد نايل برباطة جأش: «بالطبع».

ـ هل أنت متأكد؟ أقصد، لا ضير من ليلة ترتاح فيها من العمل.

ـ هل سنمضي الليلة في التشاور يا آل؟

بدا آل متضايقاً، وقال: «أنت أدرى بمصلحتك، سأطلب من إيللي أن تحضر سمكتين».

راقبت جيمينا انسحابه العجيب هذا، فسألته مندهشة: «ماذا حصل للتو؟».

ردّ نايل: «كان آل يحاول إنقاذي من نفسي».

ـ ماذا؟

ـ اقترح أن أصرف هذه الأمسية معك عوضاً عن الذهاب إلى الكازينو كما اعتدت أن أفعل كل ليلة.

أطرقت جيمينا تفكّر غير راضية عن هذا الموقف برمته. لماذا يحاول آل ثنيه عن الذهاب؟ وهذا لا يعني أنها تريد مرافقته، فقدمها لن تطأ هذا االكازينو أبداً. إنما عليه أن يختار لنفسه، فالرجال عادة لا يحتاجون لمن يحثهم ليواعدونها.

همهمت وقد راحت تتفرس في نايل: «شكراً لك يا آل».

كان هذا الأخير من الدهشة ما زاد من انزعاج جيمينا أكثر فأكثر.

طالعته بنبرة مشاكسة: «إذاً هل ستصطحبني إلى الكازينو؟».

أجابها نايل بتلقائية: «كلا. أنا مقامر محترف. هذا عملي الذي أعتاش منه. هل كنت لتصطحبي رجلاً غريباً إلى مكتبك؟».

ـ لا أعمل في مكتب.

كانت جيمينا من الذهول ما شلّ تفكيرها فما استطاعت التفكير بردّ آخر.

هزّ كتفيه غير مبالٍ وأضاف: «وإن يكن، لا يذهب الرجل منّا للاحتفال إن كان عليه كسب قوته».

وابتسم إحدى ابتساماته الجذابة المترددة، قبل أن يتابع: «اطلبي ما شئت في

www.elromancia.com

أي وقت ما عدا المساء فأهرع إليك».

ـ لقد غمرتني بلطفك.

ارتسمت على وجهه فجأة ابتسامة عريضة أنارت محيّاه. عندما يبتسم على هذا النحو تنغضن زوايا عينيه فيما تظهر غمازتان على جانبي فمه.

ردّ نايل بنبرة كئيبة: «غمرتك بلطفي؟ ما من أحد في العالم يستطيع أن يغمرك بلطفه. أقله ليس أنا، فأنا أزعجك حتى عندما لا أتقصّد ذلك».

سألته جيمينا وشرر الغضب يتطاير من عينيها: «أكنت تحاول مضايقتي؟».

فردّ نايل وعيناه تلتمعان مكراً: «أنت جميلة حقاً عندما تغضبين يا آنسة كوبر».

استعادت جيمينا أخيراً روح الدعابة لديها، فقالت: «أنا دوماً جميلة ولديّ ما يثبت صحة أقوالي».

شاهدت بمرح حاجبيه يتقوسان حتى كادا يلامسان شعره. لكنه سرعان ما استفاق من دهشته ليسأل:

ـ هل ينظم لك الشعراء قصائد؟

أمالت جيمينا برأسها، مستمتعة فعلاً بقوتها.

ـ شيء من هذا القبيل.

بدا نايل محتاراً يتآكله الفضول: «أنت عارضة للفنانين؟ ملهمة للفنانين؟ أتقدمين النشرة الجوية؟».

أومأت جيمينا برأسها وأخذت تضحك، قائلة: «لا تيأس، حاول مجدداً».

طقطق نايل أصابعه قبل أن يقول: «أنتِ خوان بين، إلهة الحظ السعيد، هبطت إلى الأرض لتتقمصي في جسم إنسان».

علقت جيمينا بمكر: «إلهة! هذا جيد».

ـ إذاً سأبدل رأيي. إن كنت إلهة الحظ السعيد فأقرّ بأن آل كان محقاً. سترافقينني إلى الكازينو.

توقفت فجأة عن الضحك وقد فاجأها كلامه: «ماذا قلت؟».

ردّ وقد رفع رأسه إليها: «أهلاً بك إلى عالم نايل بلاكثورن المغامر».

www.elromancia.com

٤ ـــ لعبة الحظ والحب

قطعا ممراً تزيّنه المصابيح الصينية وبعض الأضواء الخافتة التي توزعت بين الشجيرات. جمع هذا الممر بين الجمال والأمان والحضارة وكأنه درب في حديقة في إحدى ضواحي المدن.

لكنها لم تعد تشعر بالطمأنينة والأمان مع رجل يصعب التكهن بتصرفاته. نايل بلاكثورن، المغامر! ماذا يعني هذا؟

سألته بنبرة جافة: «هل أعتمد عليك لتنقذني إذا ما فاجئنا وحيد القرن؟».

نظر إليها وقد تقوّس حاجباه مجدداً: «قلت وحيد القرن؟».

أشارت جيمينا إلى الشجيرات خلف الممر قائلة: «ذاك الحيوان الذي يحدث هذه الجلبة بين الشجيرات هناك».

أطلق نايل ضحكة مدوّية: «يبدو أنك لم تعتادي الحياة في إفريقيا».

سألته جيمينا غاضبة: «ماذا تعني؟».

ـ كان وحيد القرن ليحدث ضوضاء تصمّ الآذان.

ـ لقد صادفت الكثير منها، أليس كذلك؟

أومأ برأسه وهو لا يزال يضحك.

ـ أنت لا تصادفين وحيد القرن بل تبتعدين عن دربه بسرعة. بالفعل، لقد رأيت بعضها.

ـ هذا ما قصدته إذاً بالمغامر.

ـ أرجو المعذرة؟

ـ كنت أتساءل ماذا عنيت بكلمة «مغامر»، لقد حللت للتو لغزاً حيرني. المغامر شخص يهرب من الحياة البرية.

وابتسمت ابتسامة مشرقة أنارت وجهها. لم يستحسن نايل هذه الانتقادات كلها، حتى أنه بادرها بنبرة تحمل لطفاً: «ينبغي أن تزوري إفريقيا، لتتعرفي على الطبيعة. دعيني أخبرك عن الحياة البرية».

ـ أظن أنك أدرى بهذا المخلوق الذي يجوب الحديقة هناك؟

أجابها والشرر يتراقص في عينيه: «حسناً، أظن أنه حيوان الأغوضي».

لم تكن جيمينا قد سمعت بهذ الاسم في حياتها، فقالت: «هذا من نسج خيالك».

ـ أقسم لك أني صادق.

ردّت جيمينا بثقة: «لا أصدقك فأنا لم أسمع بحيوان الأغوضي».

ـ لِمَ لا تصدقني هذه المرأة؟

وجه سؤاله إلى مصباح صيني بنبرة ساخرة كئيبة.

شعرت جيمينا أنها مفتونة بهذا الشاب العجيب، الذي تابع يسأل: «أمتأكدة أنتِ من أنك زرت جزر الكاريبي من قبل؟».

ـ في المرة الأخيرة التي زرت فيها الكاريبي، لم...

تنبهت جيمينا أنها تجازف فركّزت انتباهها كله.

قال نايل بنبرة عذبة لطيفة: «نعم، كنت تقولين إنك في المرة الأخيرة...».

عضّت على شفتها، يا لها من كاذبة فاشلة! لقد كادت تفصح عن اسمها ومهنتها ولم تكن لتهمل رقم هاتف مدير أعمالها.

بادرته غاضبة: «ماذا تفعل؟ هل تستجوبني؟».

ـ كنت أحاول أن أضع النقاط على الحروف. أعتقد أنك أخبرتني أنك مغامرة عظيمة. إنما تبدو خبرتك محدودة بعض الشيء.

تسمّرت جيمينا في مكانها لتلتفت إليه، ويداها على خصرها، ثم صاحت به غاضبة: «إن خبرتي ليست بمحدودة البتة».

لم يتفوّه بأي كلمة، بل توقف بدوره ورماها بنظرة هادئة تفحصتها من رأسها إلى أخمص قدميها.

كانت جيمينا تستشيط غيظاً لكنها حاولت لجم نفسها لأنه يسعى لأن يفقدها صبرها. تنحت عن طريقه وعاودت تقدّمها نحو الكازينو.

قالت بصوت عذب فتاك: «لم أقامر في حياتي لأكسب عيشي. فشاركني مغامرتك الصغيرة هذه».

اقتحمت مدخل الكازينو الفخم والغضب يتطاير من عينيها.

كان أكبر مما يبدو عليه من الخارج حيث تمّت هندسته بشكل منمق. كانت واجهاته الزجاجية تطل على البحر وقد وضعت بعض الطاولات الصغيرة قرب الجدران الخارجية، جلس إليها الساهرون أما التشويق كله فانحصر في قلب قاعة اللعب.

علّقت جيمينا وقد أخذ منها الذهول كلّ مأخذ: «هذا أشبه بحلبة التزلج».

عجّت القاعة بطاولات القمار التي تنيرها الأضواء البرّاقة.

ـ هذا أشبه بحفلة ساهرة، لكني لم أرتدِ ثياباً مناسبة للسهرة.

اقترب منها نايل ثم سألها باستهزاء: «حقاً؟ انظري ملياً».

أجالت جيمينا النظر في ما حولها. رأت نساء يتباهين بألماساتهن ورجال بسمرتهم الممتازة، لكنها لم تسمع صخب حفلة. ما من موسيقى أو ضحك، بل انتباه وتركيز شديدين.

علّقت جيمينا بتردد: «فهمت قصدك. الساهر منهم إما يجرب حظه في

ألعاب الميسر وإما يشاهد غيره يلعب».

ـ أهذه هي المرة الأولى التي تدخلين فيها إلى كازينو؟

ودّت جيمينا للوهلة الأولى أن تنكر، إذ أرادت أن يرى فيها امرأة متمرسة قوية. غير أن المنطق غلب الأحاسيس، فوجدت نفسها تجيبه بكآبة: «نعم، لم أرَ الكازينو إلاّ في أفلام جايمس بوند».

ـ هذا ما اعتقدته.

أحسّت جيمينا بتيبس في أطرافها فسألته بنبرة أرادتها مرحة: «هل يبدو ذلك واضحاً؟».

ـ نعم.

رفعت رأسها وقد تبدد هذا المرح بسحر ساحر: «هل تعتبرني ساذجة؟».

أجابها سريعاً: «لن أجرؤ أبداً على ذلك».

إلا أنها لم تصدّق كلامه.

ـ إلى أيّ مدى تظنني ساذجة؟

سمع في صوتها رنّة انفعال، فردّ مبتسماً: «لا أدري. سأنظر في الأمر».

ـ ماذا يعني بذلك؟

كانت في الأشهر الأخيرة تتلقى تهديدات من باسيل بلاين ولا يبدو هذا بتهديد. كان أشبه بوعد إن صحّ التعبير، فسرت في جسدها قشعريرة.

ـ إنما ليس الآن. لا بدّ لي من أن أعمل، فابقي إلى جانبي وأحسني التصرف ولا تتفوهي بكلمة.

قدّم لها عصير الليمون فأدهشها ثمنه إذ أنها احتست العصير في أهم ملاهي لندن وباريس ونيويورك، غير أن هذا الكازينو كان الأغلى ثمناً.

ـ هذا الكازينو لا يلائم شاباً يعيش بميزانية محددة، أليس كذلك؟

تذكرت الملابس الحقيرة التي قابلها بها هذا المتبطل المغامر في أول لقاء لهما،

فأنبها ضميرها.

أكان مقامراً محترفاً أم لا، فهو يعجز بالتأكيد عن تحمل هذه التكاليف.

ـ عليك أن تدعني أسدد ثمنه.

ـ هذه مصاريف العمل، إنما أشكرك.

فاجأها بابتسامة فيها من العذوبة ما سرّع دقات قلبها.

آه، لا، هذا ما كان ينقصني.

لم تحافظ جيمينا على هدوئها أثناء جولتها في أرجاء الكازينو، نزولاً عند رغبة نايل بلاكثورن بل لأنها كانت تخشى المشاعر التي يثيرها فيها.

راح يراقب كل طاولة على حدة باهتمام قبل أن يكمل جولته بتعليق أو بابتسامة. وبعد حين، أدركت جيمينا أنه يتبع سياسة محددة لا محال. وكانت تتحرق شوقاً لتستفهم عن تفاصيلها، لكنها علمت أنه لا ينبغي إزعاج الرجل أثناء عمله!

أخيراً توقف عند إحدى الطاولات. وما كان منه إلا أن لفّ خصرها بيده بحركة أحسّت معها أن أنفاسها تكاد تنقطع. كان جسمه رشيقاً دافئاً تحت بذّته الرسمية، فيما كانت ذراعه شبه تملكيّة. لم يقف رجل بجوارها، يحيط خصرها بذراعه في مكان عام منذ...

راحت تفكر ملياً. أبداً! لم يحضنها باسيل يوماً. وقد كان هذا الأخير من الغيرة ما أبعد الرجال عنها. كانت جيمينا تعيش تجربة جديدة، أفقدتها إحساسها بالزمن.

لم تعرف كم من الوقت أمضت في مشاهدة اللعب حتى أنها أجفلت عندما انتصب أحد المقامرين واقفاً.

أزاح نايل يده عن خصرها:

ـ سأحل مكانه لبعض الوقت.

أوماً الموزع الذي لا يقل عن نايل أناقة برأسه. أحسّت جيمينا بألم في حنجرتها. ماذا أصابها يا ترى؟ لما عساها تشعر بهذا النقص بعد أن أبعد رجل لا تعرف عنه شيئاً يده عنها؟

أمسك نايل بيدها من دون أن يشيح نظره عن الطاولة الخضراء أو عن اللاعبين الآخرين ووضعها على كتفه.

ـ امنحيني الحظ يا عزيزتي.

أتى إطراؤه هذا، أشبه بهدية مفاجئة. توقيت مثالي! أحسّت جيمينا بأنها محبوبة. وأخيراً ثمة رجل يهتم لأمرها... وتسمّرت في مكانها فيما راحت أفكارها تتسارع في رأسها.

إنها محبوبة... هذا مثير للشفقة حقاً!

عادت سريعاً تركّز انتباهها على مسار اللعبة. لاحظت جيمينا أن نايل يخسر لكنه لم يكن يبالي البتة. لم تتغير نبرة صوته المرحة والابتسامة اللطيفة لم تفارق ثغره، لكنها شعرت بكتفه مشدودة. غير أنّ حظّه ما لبث أن تغير جزئياً ثم كلياً. راهن في الجولة الأخيرة على مبلغ ضخم من المال وكسب الجولة مما أثار دهشة اللاعبين والموزع كما المتفرجين.

أمسك بيدها قائلاً: «هل ضجرت يا عزيزتي؟ سألعب جولة أخيرة قبل أن نتوجه سوية لنسامر النجوم».

بدا كحبيب مثالي حنون يعتني بامرأة ضجرة. إلا أن هذه النبرة اللطيفة في صوته لم تحمله على النظر إليها ولو للحظة ولم تجعله يصرف انتباهه عن عيني الموزع مهما كلف الأمر.

حالفه الحظ ثانية. وأخذ الساهرون يتحلقون حول طاولتهم فأرجع نايل كرسيّه معلناً: «أنسحب».

التفت نحو جيمينا ليلفها ثانية بهذه الذراع الدافئة الرائعة، إلا أن نبضات

قلبها لم تتسارع كالمرة السابقة.

أنا لست إلا قناعاً، تمويهاً مثالياً لمقامر محترف. يا لذكائه!

سرت قشعريرة في جسدها.

مشى بالقرب منها، وخده يكاد يلامس شعرها. فابتلعت بريقها وحدّقت أمامها مباشرة.

سمعته يهمس في أذنها: «استمري بالمشي وأظهري اهتمامك بي. المدير يقف إلى يسارنا».

رفعت عينيها نحوه لتجد حبيباً هائماً فأحست بألم يعتصر قلبها.

ـ سيد بلاكثورن؟ لِمَ تغادر باكراً الليلة؟

قبض نايل ما كسبه من مال وفير، فلم تصدق جيمينا عينيها.

ـ أنسحب عندما أكون في الطليعة. لا تقلق يا هنري سأعود في الغد.

بادله المدير الابتسامة: «أنت تعلم أنه مرحّب بك دوماً في هذا المكان. عمت مساءً يا سيد بلاكثورن. سيدتي».

بادرته جيمينا فيما كانت تغادر الكازينو على ضوء المصابيح الصينية: «تباً، لم ينادني أحد بسيدتي من قبل».

ـ لقد صرفتِ حياتك تختبئين من الناس.

ـ لا أعتقد أن هذا هو السبب، بل لأنني لم أخرج برفقة رجل يحمل في جيبه ما يناهز ربع مليون دولار.

أجابها نايل بتلك النبرة الساخرة: «لا يهتم هنري بهذا المبلغ التافه. فهمومه كانت أعظم في الأسبوع الفائت».

بدت جيمينا محتارة، يتآكلها الفضول، غير أنها لم تعد مجبرة على تحمل عبء التفكير بذاك الألم البسيط المفاجىء الذي يعتصر قلبها.

ـ ماذا جرى الأسبوع الفائت؟

ـ لقد خسرت مبالغ خيالية.

ـ أولا يستفيد الكازينو من خسارتك هذه؟

ـ ليس إن خال أنّ المقامر يعجز عن إيفاء دينه.

علّقت جيمينا بنبرة خشنة لاذعة: «أو لأنك تعمل لحساب الفندق تماماً كزبون يغسل الصحون عندما يعجز عن تسديد فاتورة المطعم».

أطلق نايل ثانية، ضحكة مدوية: «لم أفكر بالأمر من هذه الناحية».

رمته بنظرة من طرف عينها. بدا مسترخياً إلى حدّ بعيد وهادىء الأعصاب، وممسكاً بزمام الأمور من حولهما. كان يصعب تخيّله وقد شغلت باله قضايا هذه الحياة وشجونها.

ـ هل قلقت ولو قليلاً؟

أجابها والدهشة بينة في نبرته: «تعنين عندما احتسبت خسارتي؟ كلا، فالخسارة ليست من شيمي».

علّقت بنبرة جافة: «أنت كما الكازينو».

ـ لذا، تريدني أتفق وهنري.

صاحت جيمينا وقد فهمت ما يدور في خلده: «لهذا السبب ستعاود اللعب غداً كي تسمح للكازينو باسترداد ما كسبته!».

ساد الصمت لبرهة، ثم علّق أخيراً: «أنت حادة الذكاء فعلاً».

شعرت جيمينا أنه لم يكن راضياً تماماً عن هذا الوضع.

ـ ألست محقة؟

ـ بالطبع، المقامر المحترف لا يحتفظ بالكثير وإلا حظر عليه المشاركة باللعب.

سألته جيمينا مذهولة: «حظر؟ هل تغش؟».

ـ لست مضطراً للغش. ليس علي سوى أن أفوق إدارة الكازينو ذكاء.

www.elromancia.com

عاد الصمت بينهما.

كان ليتراءى للناظر إليهما أنهما في قمة التألق: شاب ممشوق القامة، وسيم في بذلته الرسمية، يتأبط ذراع فاتنة صهباء رشيقة القوام، لم تتزين بأبهى حلة إنما يعكس وجهها جمالاً شفافاً أخاذاً. كانا باختصار الزوجين المثاليين.

إلا أنهما ليسا بزوجين، كانا يمشيان بمحاذاة بعضهما البعض لكن من الممكن أن يفصل بينهما المحيط الهندي.

أحست جيمينا ثانية بألم يعتصر قلبها فابتعدت عن نايل وبادرته بابتسامة عريضة اجتماعية.

سألته بصوت مبحوح: «إذاً أتتبع خطة معيّنة؟».

كانت جيمينا تلجأ إلى هذه النبرة كلما ترتّب عليها افتتاح سفينة سياحية أو ملهى ليلي. لكن نايل لم يبدُ معجباً أو مفتوناً بها.

سألها مقطباً وجهه: «ما بك؟».

ـ لا شيء، ظننت أنك تعتمد خطة محددة لتتغلب على الكازينو في عقر داره.

ـ ماذا قلت؟

أحسّت جيمينا بيدها باردة، فما كان منها إلاّ أن رفعت ذراعيها إلى صدرها.

ـ هل أنا مخطئة إذاً؟

هزّ كتفه استخفافاً، لا يريد أن يخوض في هذا الحديث، أقلّه في الوقت الحاضر..

ـ لا تجري الأمور على هذا النحو.. ما من نظام معيّن ينجح في الاحتيال على الروليت، لا سيما في الولايات المتحدة. إذا انتهج المقامر سياسة معينة في لعبة الروليت، خسر مبالغ طائلة. ما بك يا جاي جاي؟

حبذا لو لم يفاجئها بهذه النبرة اللطيفة! لو لم ينادها بالاسم الذي يتحبّب به

إليها المقربون منها وحدهم! واعتراها فجأة وهن كاد يشلّ حركتها.

تجاهلت جيمينا ما سمعت وراحت تطرف بعينيها بسرعة لئلا يلمح الدموع تترقرق في مقلتيها.

أشاحت بنظرها عنه. يسعها مغازلة أكثر رجال الأرض حنكة وجاذبية غير أنها لا ترغب الآن في ذلك، ليس الليلة على ضوء المصابيح وسط الشجيرات التي تصطف على جانبي الممر فيما يتهادى البحر مرنّماً في البعيد.

ابتسم ابتسامة عذبة ساحرة قبل أن يردف: «أنستطيع الآن التحدث عنك!».

سارعت جيمينا إلى الرد: «كلا».

ـ فهمت. ما رأيك لو نتمشى على الشاطىء تحت ضوء القمر؟ لن نهدر هذه الأمسية الرائعة.

أحسّت جيمينا بأن قلبها سيقفز من بين أضلعها. لكنها أجابته بحزم قبل أن تتعمّد التثاؤب: «ولم لا نهدرها؟ أنا منهكة القوى».

صدّقها للوهلة الأولى لكنه عاد وقال ممازحاً: «أنت تكذبين».

ـ أنا منهكة فعلاً.

ـ لكنك نمت طيلة بعد الظهر، إلا إن كنت أكبر سناً مما تبدين عليه.

سمعت جيمينا تحدياً واضحاً في رنة صوته. فأجابته والشرر يتطاير من عينيها: «ما زلت أعاني من فرق الوقت، فوفقاً لساعتي، إنها السادسة صباحاً».

ـ إنها تقريباً ساعة الفطور.

ـ ليس في عالمي.

أجابها وقد زمّ عينيه: «بالفعل، دعينا نتحدث عن هذا».

ـ عمّا تريد التحدث؟

www.elromancia.com

ـ عن عالمك.

توقفت فجأة عن الضحك وسألته بارتباك: «ماذا عنه؟».

أجابها همساً: «يثير اهتمامي، أنتِ تثيرين اهتمامي».

رمته بنظرة أكثر إثارة من نظرته: «أنت تجيد الكذب».

راح نايل يطرف بعينيه متفاجئاً وقد أخذته جيمينا على حين غرة. ورأت شفتيه ترتعشان قبل أن يجيبها قائلاً: «كلانا بالأحرى يجيد الكذب. أنت لا تعانين من فارق الوقت وتتمتعين بقواك كاملة».

همهمت جيمينا غاضبة.

ـ هيا بنا، فأنت تتمتعين بما يكفي من الأنوثة لترغبي في نزهة على شاطىء البحر، أليس كذلك؟

لم يكن باليد حيلة، خاصة إن أرادت الحفاظ على كرامتها وعلى احترامها لذاتها.

بيد أنها لم ترغب في أن يمسك بيدها، فهذا أكثر مما تستطيع تحمله.

٥ ـــ لو كنت عصفورة...

سرعان ما قطعا الممر مخلّفين المصابيح الصينية خلفهما فيما استحال الكازينو وميضاً من الأنوار تتلألأ في الأفق.

تناهت إليها أصوات الليل وكأنها تدنو منهما رويداً رويداً، من حفيف النسيم الذي يعبث بأشجار النخيل وخرير مياه الجدول الذي ينساب من المنحدر إلى يمينها إلى نبض البحر الهادر إلى يسارهما.

ابتلعت جيمينا بريقها. لم تكن ترغب في أن يمسك نايل بيدها، لكنها...

اقتربت منه ومشت بمحاذاته.

ـ أتشعرين بالبرد؟

هزّت جيمينا رأسها، وردّت:

ـ كلا، ربما بعض الشيء. حسناً، أشعر بشيء من التفوّق.

ـ تفوّق؟

أشارت نحو البحر الذي تعذر عليها رؤيته إنما رأت أشعة القمر الفضية تتكسر فوق الأمواج البعيدة.

ـ انظر من حولك. يخيل إليك أنك في عالم آخر. تفهم لما يؤمن الناس بشتى الخرافات... من حوريات البحر والممالك تحت البحر والسحر. لم يسبق لي أن رأيت مشهداً مماثلاً من قبل. مشهد يخلب الألباب حقاً، وإن كان يثير الخوف بعض الشيء.

ـ لقد تربيّت قرب البحر.

www.elromancia.com

سألته جيمينا : «لا تقل لي إن هذا المشهد الرائع لا يؤثر في نفسك».

أجابها بنبرة ضاحكة : «حسناً ، هذا المشهد لا يخيفني».

علقت بنبرة تلقائية : «إذاً ، أنت لا تخاف شيئاً؟».

ـ ماذا قلت؟

تسمر في مكانه وقد بدت الدهشة جلية على محيّاه . وتوقفت جيمينا بدورها لتستدير نحوه .

لعله الليل أو البحر الهدّار أو حتى القمر الأخّاذ الذي يرسل نوره خلف كتفي نايل ! إنه سحر بالتأكيد ، ما حثّ جيمينا على قول الحقيقة من دون قيود أو ضوابط .

كانت تجهل كيف علمت أنها الحقيقة ، لكنها أدركتها ببساطة .

ـ يسعك حلّ أي مشكلة ، أليس كذلك؟ لا تبالي لشيء البتة لذا تراك تتعامل مع كل شيء ببساطة .

مرّت لحظات أثقلها الصمت ، قبل أن يسألها غير راضٍ عن منحى الحديث : «أتى لك هذه الفكرة؟».

كانا قريبين من بعضهما البعض ما أرغمها على إرجاع رأسها لتنظر إليه ، وتسأله : «أتعني أني مخطئة؟».

أجابها على مهل : «هذا أشبه باتهام».

كان محقاً إلا أنها كانت تجهل السبب . وعلقّت مقطبة : «عدم المبالاة أمر غير انساني».

ـ أتفضلين شخصاً يشعر بالهلع عند حصول أيّ طارىء؟ لو كنت من هذا النوع لذعرت وتركتك في المطار لتعتني بنفسك .

سألته جيمينا ساخرة : «ذعرت؟ هلعت؟ لما تراك تهلع؟».

رفع يديه إلى كتفيها وكأنه يمنعها من مهاجمته أو حتى الفرار منه .

ـ أنت لا تعلمين ، أليس كذلك؟ أنت لا تعرفين وحسب .

سألته جيمينا وقد ضاقت أنفاسها : «أعرف ماذا؟».

غرق في صمته لبعض الوقت وراح يتفحص وجهها يحاول قراءة أسرارها كلها . ماذا ظن أنه قد يرى في ضوء القمر؟

بدا لها غريباً فجأة ، لا يمتّ إلى ذاك المتبطل المتعجرف بصلة ، ولا حتى إلى ذاك المقامر الجذاب . بدا أطول وأكثر جدية من ذلك الشاب الذي تعرّفت عليه في المطار .

كان القمر يطبع على وجهه أنفاساً فضياً ما زاده وسامة . خالج جيمينا شعور غريب بأنها فراشة تشق طريقها لتخرج من شرنقتها ، شعور عجزت عن مقاومته واهتز له كيانها . كانت تعيش تجربة جديدة ومثيرة بكل ما للكلمة من معنى . فما كان منها إلا أن رفعت يدها إلى صدرها لتهدىء من روعها ومن أنفاسها المتسارعة .

إلاّ أن نايل لم يلمح هذا الخوف في عينيها ، بل سألها متردداً : «من أنت؟ من أنتِ فعلاً؟».

ـ ماذا قلت؟

طرحت جيمينا هذا السؤال وهي تطرف بعينيها مذعورة . لعلها بدت سخيفة لكنها لم تكن تصدّق ما يجري من حولها . هل خالجه هذا الإحساس الغريب الذي هزّ كيانها؟ هل شعر به أيضاً؟

هزّ نايل رأسه ، فالتمع شعره الأسود تحت ضوء القمر فيما بدت عيناه عميقتين لا يسبر لهما غور .

ـ حسناً ، إنّ قصتك كذبة . فلست بمسافرة ، وفرضيتي تبدو خاطئة أيضاً . كما أنّ قدميك لم تطآ يوماً كازينو ، أليس كذلك؟

رددت جيمينا وقد أحسّت بقشعريرة : «فرضيتك؟».

www.elromancia.com

أجابها ببرودة أعصاب: «أفترض أنك أتيت إلى هذه الجزيرة لتتحري عنّي. لن تكوني أوّل من يتابع أخباري».

ـ آه.

طوقت جيمينا صدرها بذراعيها تحمي نفسها من نسيم البحر الذي أخذ يبرد.

ـ لكنك لم تبرعي في مهمتك يا آنسة جاي جاي كوبر التي تسافر متخفية تحت اسم دار.

سمعت جيمينا سخرية واضحة في صوته، فتراجعت خطوة بعيداً عن متناول يده. تباً لبطاقة الاعتماد اللعينة!

سألته وقد شرد ذهنها: «أوليس البحث في سجلات الفنادق منافياً للقانون؟».

ـ من يحتاج إلى البحث؟ لقد ألقيت نظرة على بطاقة التسجيل خاصتك.

ـ هذا تصرف حقير وجبان.

عضّت على شفتها. فأجابها من دون أن يشعر بالندم: «إنما عملي فعلاً».

ـ كدعوتي على سبيل المثال لتناول العشاء.

ـ أردت أن أحصر الأضرار قدر المستطاع. إن كنت تنشدين الاستقصاء عني فمن الأفضل أن أبقيك تحت ناظريّ. هل من وسيلة أنجح من الذهاب إلى الكازينو معاً؟

عندئذ، وضعت يديها خلف ظهرها وقالت: «أنت أيضاً جبان وبغيض».

هزّ كتفيه استهزاء، وأجاب: «جبان بغيض يحصل دوماً على ما يريد».

ـ أهذا صحيح؟

رفعت بصرها إلى النجوم خلف كتفيه. إن نظرت إلى السماء بعينين واسعتين فقد لا تغرورق بالدموع. لعل الجنة تحيك ليالياً كهذه. لكن في الجنة

فقط لا يتجسس الناس على بعضهم البعض، ولا ينصبون الأشراك.

سألته جيمينا بنبرة كئيبة: «هل تخلص فعلاً إلى النتائج التي تسعى إليها؟».

ـ بالطبع.

عندئذ، سألته بنبرة متحدية: «إذاً، إلى ما توصلت الليلة؟».

ـ أعرف أنكِ تحملين اسمين، هذا على الأقل خيط أستطيع الانطلاق منه في بحثي.

ـ وإلامَ سيقودك هذا الخيط؟

ـ أعرف أنك لست ما تبدين عليه.

سألته جيمينا بنبرة قاسية وقد أحست بأنّ كرامتها انجرحت: «من إذاً؟».

بادرها وقد قرأ في عينيها الألم الذي يضيق به صدرها: «أتمانعين».

ـ بالطبع.

ـ لم أقصد هذا، أتمانعين أن أقف على الحقيقة كاملة؟

صاحت به: «باءت محاولاتك كلها بالفشل ولم تتوصل إلى شيء، لا شيء».

ردّ نايل بنبرة عاديّة بعيدة عن التحدي: «أتعتقدين ذلك؟».

تابعت جيمينا قلقة، وقد خمد غضبها بالسرعة نفسها التي تأجج بها: «ماذا؟».

ـ لقد بتّ أعرف الكثير عنك.

ـ بالطبع، مثل ماذا؟

ـ أنك حذرة وكأنّ أحدهم يلاحقك، وأنك لا تسمحين لأيّ رجل بأن يمسك يدك، وعندما تضحكين، تتغير ملامحك كلها.

لم يستطع نايل أن يتمالك أعصابه فوجد نفسه يلمس وجنتها لمسة ناعمة حريرية، خفيفة سحرية، لمسة جعلت الدم يتدفق في عروقها.

www.elromancia.com

ابتلعت جيمينا بريقها وراحت تحدّق إليه غارقة في صمتها.

إنها مجنونة إن ظنت أنه يسعها الاعتماد عليه وإن للحظة، حتى في ليلة مرصعة بالنجوم في الجنة.

ـ لا ترحلي في الغد. ابقي في الفندق وامنحيني فرصة بعد.

لم تتفوه جيمينا ببنت شفة. لعله نصب لها فخاً جديداً، بل كانت على ثقة من أنه فخ آخر.

ـ سأفكر في الموضوع!

لكنها كانت تعلم أنها لن تتزحزح من الفندق.

في صباح اليوم التالي، اختارت جيمينا قطعة فاكهة من طاولة الفطور وراحت تتنزه على شاطىء البحر. لاحظت مسرورة أن أحداً لم يعرها اهتماماً فجلست تراقب المياه قبل أن تعود أدراجها إلى قاعة الاستقبال في الفندق.

التقت آل الذي رفع نظره إليها وابتسامة عريضة تنير محيّاه: «مرحباً، هل نمت جيداً؟».

ـ كطفل. هل من رسائل لي؟

ـ كلا.

أطلقت جيمينا تنهيدة تنمّ عن الرضا وعن فرح عارم.

«لقد كسبت هذه الجولة يا باسيل». شعرت بالارتياح فابتسمت لآل ابتسامة عريضة، فراح يطرف بعينيه مدهوشاً.

ـ ألا تريدين إعلام أقاربك بأنك بخير؟

ـ لا. في الواقع لم أفكر في الأمر، ربما.

لم تكن مفكرتها مكتظة بالأعمال والالتزامات إلا أنّ وكالتها لن ترغب في فقدان أثرها، ناهيك عن إيزي ويبر.

ـ لعلك محق. عليّ أن أخبر عائلتي بمكاني، أين يسعني إيجاد محل للإنترنت؟

أنارت وجهه ابتسامة عريضة: «استخدمي الحاسوب في المكتب إذا شئت. سأعطيك بطاقة وأضيف التكلفة على فاتورتك».

ـ عظيم. أنت لا تملك محلاً تجارياً، أليس كذلك؟ أردت أن أشتري ثياباً للسباحة في المطار، إلا أن المحلات كانت مغلقة. وهنا...

ـ آسف، ما من محل تجاري. عليك أن تقصدي البلدة. أخبرني نايل هذا الصباح أنه ينوي اصطحابك إلى السوق.

كانت تتأمل البطاقة عندما رفعت رأسها متفاجئة: «عفواً؟».

أطلق آل قهقهة مدوية: «لم يخبرك بعد؟ يا إلهي، يسهل على هذا الرجل الإفلات من جريمة قتل».

من الواضح أن آل يكن لنايل الإعجاب والغيرة أيضاً.

سألته جيمينا بحزم: «حقاً؟».

أجابها برنة كئيبة: «لطالما تمتع نايل بالجاذبية».

ردّت ببرودة: «أحقاً؟».

ـ يعمد نايل كلما قدم إلى هنا إلى مغازلة النزيلات. إلا أن هذا الأسبوع... ها هو آتٍ.

خطر لجيمينا والغضب يستعر في داخلها أن آل يهنئها على اهتمام نايل لغرض في نفسه.

بادرته جيمينا بلطف مضلل: «ها هو».

ـ صباح الخير يا جميلتي. هل أنتِ مستعدة للانطلاق؟

يبدو أن نايل في مزاج جيد هذا الصباح.

كان يرتدي سروالاً قصيراً يصل إلى ركبتيه ويكشف عن ساقين مسمرتين ومفتولتي العضلات.

أشاحت جيمينا بنظرها عنه، وبادرت شجرة النخيل بنبرة وقورة: «يا

www.elromancia.com

لحظي العاثر! لم أسجّل اسمي لمواعدة أحد اليوم».

تعليقها الساخر هذا لم يقلل من عزيمة نايل الذي قال: «لقد أخبرتني أنك ستصرفين النهار برفقتي. لا يسعك التراجع الآن».

- بل على العكس.

وتنهدت تنهيدة عميقة. يحتاج هذا الرجل لمن يضعه في مكانه الصحيح ويعرّفه مقامه، راحت جيمينا تكرر هذا لنفسها، قبل أن تستأنف حديثها: «الفرصة ليست مناسبة الآن».

تقوس حاجباه تعجباً: «لماذا؟».

صاحت به والغضب يتطاير من عينيها: «عفواً؟».

- كيف أمست الفرصة فجأة غير مناسبة؟ ما عساك تفعلين اليوم؟ أخبرتني بالأمس أنك تنوين السفر اليوم، أيّ ليس لديك ما تفعلينه طيلة النهار.

- أريد التحدث إلى بعض الناس، وإرسال بعض الرسائل الإلكترونية ولا أدري كم سيستغرق ذلك من وقت.

ارتفع حاجباه تعجباً، لكنه لم ينبس ببنت شفة. لم يصدق كلمة مما قالته ولم يكن يحاول أن يتصرف بلياقة. فسألها: «هل فقدتِ شجاعتك؟».

نظرت جيمينا إلى آل والغضب يتطاير من عينيها، فوجدته يتابع حديثهما بلهفة واضحة من دون أن يكلّف نفسه عناء إخفاء اهتمامه الشديد بهما.

أما نايل فلم يعره اهتماماً وكأنه لا يلاحظ حتى وجوده.

ضحكت جيمينا قبل أن تجيب: «هذا سخيف بالفعل».

- حقاً؟

لم يكن نايل يفوت فرصة لاستفزازها. فضاقت عيناها حتى أمستا شقين رفيعين.

ردّت بنبرة جافة: «اسمعني جيداً يا عزيزي. عندما وافقت على رؤيتك اليوم

ظننت أننا سنبقى في الفندق ولم أتوقع أن تأخذني في جولة غامضة».

نصحها نايل: «عدّلي إذاً توقعاتك».

سمعت جيمينا آل يضحك خلف مكتبه، فرمته بنظرة فيها من الغضب ما جعله يتوقّف عن الضحك ليتظاهر بأنه يسعل. عندئذ، قررت أن تسدد له ضربة لتنتقم منه.

بادرته جيمينا بلطف: «أتريدني أن أساعدك على الإفلات من جريمة قتل؟».

- عفواً؟

طرح نايل هذا السؤال مقطباً وجهه فيما بدا آل مرعوباً. فابتسمت ابتسامة عريضة أشرق لها وجهها، وشرحت له بنبرة عذبة: «لقد أخبرني آل لتوّه أن هذا ما تتوقعه عادة من حبيباتك. لعلك تحتاج إلى تعديل توقعاتك».

غرق الرجلان في صمت مطبق.

لقد كسبت هذه الجولة. هذا ما خطر لجيمينا قبل أن تستدير على عقبيها وتسير من دون أن تنظر خلفها.

علت ثغرها ابتسامة عريضة حين ابتعدت عنهما، وفتحت باباً يؤدّي إلى مركز صغير إنما فعال ضمّ حاسوباً وفاكس وآلة طابعة.

أدارت الكمبيوتر وجلست تقرأ ما وردها من رسائل إلكترونية. وجدت أن الوكالة قد أصابها الذعر. أين اختفت؟ لِمَ لم تتصل بهم بعد؟ أنسيت موعدها يوم الأربعاء في دروتشيستر؟

أجابتهم جيمينا برسالة سريعة ومختصرة: «كلا».

لكنها عادت واستدركت فبعثت لهم برسالة ثانية دوّنت فيها عنوان الفندق وأرقام هاتفه ثم أضافت: «للحالات الطارئة، فأنا أستمتع بوقتي كثيراً».

بعدئذ، وقعت على رسائل من باسيل. وكانت قد اعتادت الأسماء

المستعارة المختلفة التي يستخدمها، فما كان منها إلاّ أن محتها كلها من دون أن تقرأها.

لم تكن جيمينا تكترث لأيّ رسائل لكنها أرادت أن يغادر نايل بلاكثورن الردهة، فراحت ترد على بعض الرسائل التي وصلتها من مصوّر ومنظم لحفلات خيرية وبعض الصحفيين.

لم يعد لجيمينا عذر للبقاء في الغرفة، فعمدت إلى إطفاء الحاسوب لتخرج بحذر إلى الردهة.

كان نايل يتجاذب أطراف الحديث مع صديقه آل، وقد اتكأ إلى مكتب، وكأنه مستعد للبقاء في مكانه طوال النهار.

اختبأت جيمينا خلف شجرة النخيل، فشعرت بأنها تتصرف بسخافة.

لم تكن واثقة من أنها محصنة ضد سحر نايل الرجولي الذي يحسده عليه آل. فما كان منها إلا أن جلست بين النباتات تأمل أن ينهي حديثه وينصرف بسرعة. وسرعان ما تناهى إليها حديثهما: «هل قامرت بتهور يا نايل؟».

ـ لقد خططت لكل شيء.

ـ كما تشاء.

عاد وسأله بفضول: «إذاً، ماذا كنت تفعل ليلة أمس هائماً في الظلام الدامس؟».

شعرت جيمينا بالتوتر يعتريها. سأله نايل بشيء من الارتياب: «هائماً؟».

ـ أخبرني شارلوك هولمز في المطبخ أنك جلست على رصيف المرفأ حتى الثالثة صباحاً.

سأله نايل بنبرة ضاحكة ساخرة: «وماذا ظنّ السيد برايمروز أنني أفعل؟ هل كنت أعترف بخطاياي؟».

ـ سمعت أن لديك الكثير لتعترف به.

ـ إنها إشاعات لا أهمية لها.

ـ أحقاً؟ لقد صرفت هذا الأسبوع أخفف عن مراهقة فطرت قلبها. أيتعيّن عليك فعلاً تحطيم قلوب النزيلات كلّهن؟

رمى نايل صديقه بنظرة مشككة: «أتتذمر الآن؟ كنت لتقع في ورطة كبيرة لو جاريت تلك الفتاة».

ـ ربما، ربما...

ـ لا أريد أن أسمع «ربما»، إن المراهقات عنيدات في سن السابعة عشرة، اضطررت لاستدعاء إحدى الخادمات لأخرج تلك الفتاة بالقوة من كوخي. ألم يخبرك برايمروز بذلك؟

ـ بلى. لمَ لا تقصدني العازبات الشقراوات لأخفف عنهن؟

أطلق نايل ضحكة مدوّية: «لأنك المسؤول عن هذا الفندق ومواطن صالح، كما أنك متزوج».

سأله آل باشمئزاز: «وأنت رجل الشهوات بالفطرة، أليس كذلك؟».

فأجابه نايل ببرودة أعصاب: «تظن الجميلات أنني رجل غامض».

ـ يعتبرنك جايمس بوند. تقصد الكازينو بسترتك البيضاء وتلعب الورق حتى الرابعة صباحاً.

وتوقف فجأة كمن خطرت له فكرة: «لم أرك يوماً تهدر وقت المقامرة جالساً على الرصيف تسامر النجم أو أقله وحيداً. هل صدتك؟».

استوى نايل في وقفته وألقى نظرة إلى ساعة يده: «حان وقت الانطلاق. أتريد أن أجلب لك شيئاً من البلدة؟».

تابع آل متجاهلاً السؤال: «لقد صدتك بالفعل، أليس كذلك؟».

ـ لن يضيرك أن تهتم بأمورك الخاصة من وقت إلى آخر.

قال له نايل هذا بسأم، إلا أن آل لم يعره اهتماماً.

ـ عجباً، لقد دعوت المدللة على العشاء ولم تتأثر بسحرك؟ إنها فعلاً سابقة! المدللة، أهذا ما يسميانها به؟

حسناً، لقد غازلها أكثر الرجال خبرة، وسيتعيّن عليه أن يبذل جهده ليبلغ معاييرها. إنها تدين بذلك لكرامتها ولنصف نساء جزر الكاراييب. وخرجت فجأة من خلف شجرة النخيل والشرر يتطاير من عينيها فيما علت ثغرها ابتسامة ماكرة.

ـ جيد أنك لا تزال هنا. لقد بدّلت رأيي. سأرافقك إلى البلدة.

لم يكن نايل بمغفل، فعلا حاجباه استغراباً وارتسمت على وجهه أمارات الحذر.

في الواقع، أدرك نايل بلاكثورن أنه متورط معها في نوع من التحدي الذي لا يعني سواهما. وقد عقد العزم على الفوز.

أجابها بنبرة خشنة: «إنه يوم حظي».

أجابته بجفاء: «لا تتحمس كثيراً. أحتاج إلى من يقلني، ليس إلا».

ـ أعتقد أنني سأكون شاكراً لله على هذه النعمة.

أنزلها في ساحة السوق في مدينة كوين كما طلبت منه.

ـ تجدينني عند رصيف المرفأ إذا ما غيّرت رأيك.

أسند ظهره إلى المقعد يراقبها فيما راحت تتلمّس قبضة الباب بطريقة غير لبقة البتة.

ـ تقودك الطريق إلى يسار تمثال القرصان، إلى المرفأ. امشي بمحاذاة المراسي حتى تجدينني.

أجابته جيمينا تلقائياً: «بالتأكيد».

ترجلت من السيارة وأغلقت الباب خلفها. تمنت لو أن نايل حاول إيقافها وإقناعها بمرافقته، لكنه لم يفعل. اكتفى بالتلويح لها قبل أن يضع نظاراته

الشمسية السوداء وينطلق بسرعة...

لم تكن بلدة كوين أضخم أو أوسع من المطار. انتصبت في ساحتها الرئيسية بعض الأبنية المتداعية التي تعود إلى القرن الثامن عشر والتي تزيّنها الشرفات الحديدية الجميلة.

كانت المحال مليئة بالبضائع التي تلائم الصيادين أو ربّات المنزل أو حتى الغطاسين، إنما لم تستطع جيمينا العثور على ما يتماشى مع ذوقها.

وفي النهاية استسلمت لتتوجه رغماً عنها إلى المرفأ. أو لعلها تمنّت ذلك في سرها؟

اكتظ المرفأ بالناس إلا أن أحداً لم يبدُ على عجلة من أمره.

راحت جيمينا تجيل النظر في ما حولها ثم اتكأت على السور البحري تتأمل القوارب الصغيرة التي ترسو في الميناء لتفرغ حمولتها.

كانت حجارة السور دافئة والهواء البحري ينفث على عنقها هواءً دافئاً. وتناهى إليها اسمها فرفعت رأسها.

رأت نايل يقف على ظهر مركب راسٍ في الميناء. عكست وقفته القوة والكفاءة وبرودة الأعصاب والتحكم بمجريات الأمور... بخلافها هي.

كان قد رفع نظارته الشمسية إلى رأسه فالتقت عيونهما فيما أنارت وجهه ابتسامة مشرقة لم ينجح في لجمها. لقد فشل إذاً في الإمساك بزمام الأمور!

وجدت جيمينا نفسها تنتصب واقفة لتتوجه نحوه، تقطع الطريق وكأنها فقدت السيطرة على قدميها المغفّرتين بالتراب.

توقفت بعيداً عنه من دون أن تعير الحشد الفضولي خلفه اهتماماً. كان عاري الصدر، تتألق بشرته في أشعة الشمس كالفاكهة والخضار التي يتاجر بها أصحابها خلفها.

حيّته وابتلعت بريقها، فسألها: «هل ستمنحينني فرصة ثانية»؟.

www.elromancia.com

حاولت جهدها لتستعيد هدوءها قبل أن تجيبه: «هذا يتوقف على ما تعرضه عليّ».

أحسنت يا جيمينا! بدوت متفائلة وحتى فرحة ولم تجعلي من نفسك أضحوكة.

وثب نايل بخفة من المركب إلى الرصيف: «دعينا نتحدّث».

شعرت جيمينا بالتوتر، إلا أنه لم يلمسها بل وقف أمامها يتفرّس في وجهها وكأنه لا يصدق عينيه.

إنه ذكي فعلاً، كما خطر لجيمينا في سرّها. وتمنت فجأة لو أنها أسرّت لهذا الرجل بمكنونات صدرها، منذ اللحظة الأولى.

أشاحت بنظرها عنه قبل أن تغلبها رغبتها هذه، وتبوح له باسمها الحقيقي.

ـ حسناً، ماذا تقترح؟

رأته جيمينا يقف كأمير. إنه يشبه القرصان في التمثال الذي يحتل قلب الساحة الرئيسية.

حذار يا جيمينا! هذا الرجل ينضح وسامة وجاذبية وهو يعرف ذلك حق المعرفة.

سألها بلطف: «ما رأيك لو نركب البحر ونقصد جزيرة مهجورة نقضي فيها نهاراً كاملاً؟».

راحت جيمينا تطرف بعينيها مدهوشة. فما كان منه إلا أن ضحك. يبدو وسيماً بحق عندما يضحك.

ـ دعيني أريك جزيرة مهجورة فعلياً، جزيرة لا تفصلنا عنها غير ساعتين من الإبحار.

نظرت جيمينا إلى المركب خلفه.

ـ أتقصد حيث يأخذ الهواة دروس الغطس؟

ـ كلا، لا تشغلي بالك بدروس الغطس. لن يرافقنا أحد ولا حتى الطاقم. سأقود المركب بنفسي.

أجابها نايل بذلك فيما كان غارقاً في تأمل عينيها فكاد قلب جيمينا يقفز من بين أضلعها. أتمضي نهاراً كاملاً برفقته في إحدى جزر الكاريبي؟ هل يسعها الوثوق به؟ هل يسعها الوثوق بنفسها؟

وفجأة عادت تسمع صوتاً داخلياً يذكرها بكلمات السيدة بليندا: «أنت لا تعيشين حياة شخصية، لا تواعدين أحداً إلا إذا اضطررت لذلك».

ما من حياة شخصية! سأريها! سألقن هذا المتمرد درساً لن ينساه في حياته. سأريهم جميعهم!.

أرجعت رأسها لتبتسم له ابتسامة عذبة متألقة.

ـ إن عثرت على محل أشتري منه ثياباً للسباحة، فسأكون رهن إشارتك.

علا حاجباه استغراباً، وقال: «سأجد لك ثياباً للسباحة، فلتبدأ مغامرتنا».

انحنى أمامها انحناءة ساخرة مسرحية فقرأت جيمينا في عينيه تصميماً وجدية.

ـ حسناً. لقد اشتريت واقياً من الشمس وقبعة، إلا أنني ما وجدت ثياباً للسباحة.

أجابها وعيناه ترقصان فرحاً: «سأبحث في البلدة كلها! ستحصلين على ما تريدين».

أمسك بذراعها وهبّ مسرعاً يقطع الطريق ليصل إلى متجر مبرّد. قادها مباشرة إلى منصة تعجّ بالألوان، من أثواب الساري الحريرية الملونة إلى الأقمشة الزاهية فالقمصان القطنية المطرّزة.

تناول ثوب سباحة فيروزي وأحمر اللون من وسط مجموعة ملوّنة.

أعجبها الثوب، لكنها اضطرت لاستبداله لاحقاً لتتقي القياس الصحيح.

سدد ثمنه فيما انبرت تبحث في حقيبتها عن نقود، ثم رأته يحمل ساري متدرّج الألوان إضافة إلى مجموعة من السراويل القصيرة.

ـ لست مضطراً لذلك، لم يبتع لي أحد شيئاً منذ كنت طفلة.

بدت جيمينا أشبه بمراهقة غير لبقة تواعد حبيبها الأول. فأجابها باستخفاف: «تلذذي إذاً بهذه التجربة الجديدة».

ولمعت عيناه فيما راحتا تتفحصانها، فأحست بالدم يغلي في عروقها.

ـ قد أحتاج إلى المزيد من الواقي من الشمس، إن كنّا سنمضي النهار كله في الخارج.

كانت بشرة جيمينا بيضاء شفافة، ولا يسعها العودة إلى لندن بسمرة ذهبية سيّما وأنها ستخضع لجلسة تصوير في الأسبوع المقبل.

إنما أليست حرة وسيدة قرارها؟

ـ من هنا.

أشار نايل إلى محل ثانٍ حيث ابتاعت مرطباً للبشرة ونظارات شمسية. بعدئذٍ، وافته إلى الرصيف حيث وجدته يحمل أكياس بقالة ويصعد برشاقة إلى المركب. كان أفراد الطاقم قد رحلوا.

وضع الأكياس أرضاً وأمسك بيدها ليساعدها. فسألته: «أتنوي البقاء أسبوعاً كاملاً؟».

أجابها وفي عينيه بريق غريب: «لا تقلقي. أنا مضطر للعودة هذا المساء، فعلي أن أعمل».

ـ لِمَ ابتعت إذاً كل هذه الحاجيات؟

ـ إنها للغداء في الهواء الطلق، وبعض الأغراض التي قد تحتاجين لها.

ـ أنا؟ هل ابتعت لي هدية؟ هدية أخرى؟

بدت جيمينا حذرة وليس مذعورة. كانت امرأة خبيرة علمتها الحياة الكثير وقد جابت العالم كله. أما هو فانحنى يمعن النظر في عينيها كما يغرق العاشق في عيني حبيبته.

ـ لقد خمّنت القياس بنفسي.

ـ شيء آخر أرتديه؟

أحسّت بالدم يتصاعد إلى خديها. وخطر لها أنها تبدو كسنجاب أصابه الهلع إنما لم يكن بيدها حيلة. استوى نايل في وقفته وأمارات السرور والرضى بادية على وجهه.

ـ تفضلي.

أخرج من الكيس الورقي حذاء خفيفاً أسود فتناولته جيمينا منه بحركة آلية.

ـ ما هذا بحق السماء؟...

ـ قنفذ البحر حيوان شائك وصغير. ولا يسعك التنزه على الشاطىء إن كنت تنتعلين حذاء بكعب عال. كما أنه من المستحيل أن تمشي حافية القدمين إذ تكثر هذه الحيوانات على الشاطىء وقد تدوسي على أحدها. لا تستخفي بالألم الذي ستعانينه أو بخطورة جرحك. يستحسن أن تنتعلي هذا الحذاء عندما تتنزهين على الشاطىء أو حتى عندما تسبحين.

ـ شكراً لك.

تغضنت عيناه بابتسامة، وقال: «لا ننشد غير راحتكم».

إنه وسيم بحق، وتصعب مقاومة سحره. وخيّل إليها أنّ في وسعه قراءة أفكارها عندما رأت ابتسامة هادئة تعلو ثغره. إلاّ أنه لم يحاول استغلال سحره وجاذبيته بل أخذها في جولة سريعة ليعرّفها على المركب قبل أن يتهيأ للانطلاق.

رفع الشراع وأبحر بعيداً عن المرفأ بمهارة لا متناهية ولم يحاول إخفاء استمتاعه بالرحلة هذه.

ـ هذا رائع فعلاً، أليس كذلك؟

وسرعان ما أخذ النسيم العليل يلفح وجهيهما ويداعب شعر نايل الداكن فبدا أشبه بقرصان استولى على الجزيرة.

سألته جيمينا فيما راحت تجيل النظر من حولها بإعجاب: «هل تقوم بذلك باستمرار؟».

ـ أقوم بماذا؟ أخطف امرأة أم أبحر؟

أجابته وقد تغضنت عيناها: «أن تبحر بالطبع! أنا أستطيع الاعتناء بنفسي».

ـ جيد.

وأطلق ضحكة عالية لم تستطع إدراك سببها.

ـ إذاً أتبحر بانتظام؟

كان نايل عاري الصدر فلم تستطع جيمينا رفع نظرها عن عضلاته المدهشة. إنه جذاب بالفعل، يتمتع بسحر لا يقاوم. ولم تكن قد التقت بشاب مثله في حياتها.

راح يتأمل الأفق وقد ضاقت عيناه ثمّ رفع نظره إلى صاري المركب.

ـ بانتظام؟ ليس في الآونة الأخيرة. لطالما أبحرت في طفولتي. لقد تعلمت الإبحار قبل المشي.

بدا نايل شارد الذهن. راقبته جيمينا يوجّه المركب وسط الأمواج ولم تفاجئها مهارته قط. بعدئذٍ، جلس قربها واضعاً يده خلف ظهرها بحركة ودودة غير متكلفة، فما كان منها إلا أن مالت إلى الأمام.

ـ هل ولدت في البنتكوست؟

ـ في الجزيرة؟ كلا. ما الذي أوحى إليك بهذه الفكرة؟

ـ أهذا قاربك؟

وأجالت جيمينا النظر في السطح.

ـ أتقصدين هذا المركب البسيط؟ لا، ليس لي، لقد استعرته من بعض الأصدقاء. لا أملك مركباً خاصاً لا في البنتكوست ولا في أي مكان آخر.

هل سمعت رنة ندم في صوته؟ لم ترَ جيمينا فيه رجلاً يميل إلى الندم. وتمنّت لو تحيط بحياته كلها، لو تتعرف إليه عن كثب.

سألته بفضول: «لا، ألأنه يكلف ثروة؟».

هزّ نايل كتفيه استهزاءً قبل أن يجيبها: «إنه بالأحرى نمط عيش. أمضيت حياتي في السفر. إن كان المرء منا يعيش حياته في ترحال مستمر، فلن يجد يوماً مرفأ يرسو فيه».

ـ هل تجوب الأرض، بمحض إرادتك؟

ـ نوعاً ما.

عندما لم تتفوه جيمينا بكلمة، أردف: «أتريدين أن أخبرك قصّة حياتي المحزنة بالكامل؟».

ـ نعم!

الحرب الباردة لم تهدأ بينهما، فهزّت كتفيها استخفافاً وكأنها غير مبالية البتة.

ـ حسناً لقد هربت من المنزل عندما كنت في السابعة عشرة من عمري.

بدأ قصته وهو يتمطى. وقع هذه الكلمة ترك صدمة في نفس جيمينا.

ـ هربت؟ هل مللت المعاملة السيئة؟

أطلق ضحكة خافتة، وردّ: «لم يأتِ قراري هذا وليد الساعة بل نتج عن علاقة سيئة ربطتني بزوجة أبي وعن سوء معاملة أخي لي الذي كان يبيح لنفسه

معاقبتي، فما كان مني إلا أن غادرت البيت».

قطبت جيمينا. لم يكن نايل يعيش حياة عائلية طبيعية.

ـ أكان أخوك يعاقبك؟ ماذا عن أبيك؟

ـ كان يتحضر لطلاق آخر. لا ترتعبي على هذا النحو. إننا كنّا العائلة المفككة النموذجية.

ضحك نايل لرؤية تعابير وجهها.

علّقت جيمينا وهي تتأجج غيظاً لما لحق به من أذى: «يبدو أنك أفضل حالاً من دونهم».

وأحسّت باضطراب عارم يعتريها، ويشل تفكيرها.

ـ كان لي خالة أو خالتان لا بأس بهما، إنما لطالما كان أخي وضيعاً فقد ورث عن أبي طباعه السيئة.

أوشكت جيمينا أن تنفجر بالبكاء لكنها تمالكت نفسها. أما نايل فلم يتأثر بفيض الذكريات.

تمنّت جيمينا لو أنها ابتاعت محارم ورقية... وعبثاً حاولت تنشق الهواء بهدوء.

وضع يده تحت ذقنه وأدار وجهها نحوه: «هيا يا جيمينا، لا داعي لهذا الحزن، فقد مرت سنوات طويلة على هذه الأحداث».

رأته يضحك، فردّت بكلمات متقطعة: «لست حزينة. أنا أحب عائلتي كثيراً، وأعتقد أنه من المخزي أن يكره أفراد العائلة الواحدة بعضهم البعض».

كان يتفرّس فيها فمسحت وجهها بظاهر يدها، وقالت: «أحتاج إلى محرمة ورقية».

كرر بنبرة لطيفة عذبة: «هيا يا جيمينا».

استجمعت قواها، فلم تكن تحبّذ إظهار عواطفها على الملأ.

ـ أعتقد أنك ما عدت تراهم، أليس كذلك؟

ـ ما قصدت بيت العائلة منذ أكثر من خمسة عشر عاماً. لقد توفي والدي. ألم تسمعي بالعادة الإنكليزية التي تورث ولداً وتحرم الآخر؟

ـ ماذا؟

ـ يورثون أحد الولدين فيما يبقى الآخر وريثاً احتياطياً ولا يلمس فلساً إلا إذا أصيب الأول بالطاعون. حسناً، أنا هو الاحتياطي.

تسارعت الكلمات إلى لسانها قبل أن يتسنى لها لجمها فقالت: «هذا فظيع».

أجابها نايل برحابة صدر: «أعترف بأن عائلتي ليست رائعة والهروب من المنزل سدّد لها ضربة قاسية».

ـ ألهذه الأسباب احترفت القمار؟ لتزعج عائلتك؟

وقف نايل ليسوي الشراع ثانية! فنظر إليها وفي عينيه بريق غريب.

ـ أنتِ تجيدين فعلاً سياسة العداء بالنسبة لفتاة تنعم بالدفء في كنف عائلة رائعة تحبها.

أخذت جيمينا تتفرسّ فيه: قطرات فضية تتلألأ على صدره الذي لفحته أشعة الشمس، عينان تحاولان حضن هذا البحر الرائع. يبدو نايل بلاكثورن وكأنه أتى إلى هذه الدنيا مبحراً.

ـ ألم ترغب قط في ممارسة مهنة أخرى؟

ـ ربما.

وسرعان ما طوى صفحة الاعترافات ليعرفها على معالم ساحل بتكوست الجنوبي.

وفجأة، طار الشيء الوحيد الذي وُفقت جيمينا بشرائه.

ـ تباً! ليس القبعة.

ـ أنت مخطئة تماماً.

أسرع بخفة إلى الحجرة السفلية ليعود حاملاً قبعة على أحد أطرافها بضع حبّات كرز قديمة.

بادرته مدهوشة: «تبدو هذه القبعة قديمة قدم الجزيرة».

ـ لا تسخري منها، فهي تعود لجدة إيللي. سرقتها هذا الصباح. ستحتاجين إليها بالتأكيد إذ غالباً ما تكون الشمس مؤذية في هذه المناطق.

أخذت جيمينا القبعة واعتمرتها فوق الخصل التي بعثرها الهواء. حبّذا لو تراها إدارة الوكالة، لن يحتملوا وقع هذه المفاجأة!

ـ يبدو أنك اعتدت المجيء إلى هذه الجزيرة وإن لم تكن من سكانها.

ـ أسافر إلى أقاصي الأرض. ألم أخبرك ليلة أمس؟ تنقلت من لاس فيغاس إلى لندن ومن نيوجرسي إلى موناكو.

قالت جيمينا ببساطة: «أعيش في لندن».

أرتفع حاجباه الكثّان استغراباً.

ـ أنتِ تسافرين وحدك بأقل قدر ممكن من الحقائب، ولا تتكبدين عناء حجز غرفة في فندق. لست من السياح التافهين ولا تستحسنين أن يساعدك من حولك على حمل حقائبك.

استشفت في صوته رنّة جعلتها تتفرس في وجهه، وتسأله: «ماذا تعني؟».

ـ تفضلين الاحتفاظ بها طوال الوقت. هل خبأتِ فيها أغراض ثمينة؟

هزّت جيمينا رأسها، وردّت: «كلا، لا شيء من هذا القبيل».

ـ ألم تقصدي جزيرة بتكوست لإنجاز مهمة معينة؟

ـ أبداً، أعتقد أنني أردت الفرار، شأنك تماماً.

ردد نايل من دون أن يصدق أذنيه فيما راح يحملق في وجهها: «الفرار؟».

هبّ نسيم عليل داعب خصلات شعرها، وحاول حمل قبعتها القبيحة، إلا

أن جيمينا تمسكت بها جيداً وأعادتها إلى مكانها.

واعترفت أخيراً، مقطبة وجهها: «نعم. اعترضتني مشكلة معينة لم أستطع حلها ما اضطرني للفرار..».

انتظر نايل أن تكمل قصتها لكنها لزمت الصمت فسأل: «لكنك تعيشين في لندن؟ لديك وظيفة منتظمة أليس كذلك؟».

ـ حسناً، منتظمة إلى حدّ ما.

وابتسمت جيمينا في سرها، فما كان منه إلا أن رمقها بنظرة متفحصة سريعة.

ـ هل ستخبرينني ما معنى هذا؟

سألته مدهوشة: «ماذا؟».

ـ هذه الابتسامة السرية.

تبدد المرح واللهو بغتة واتسعت حدقتاها فيما اعتدلت جيمينا على مقعدها الخشبي. وعلقت أخيراً: «أنتَ حاد الملاحظة».

ـ يقتضي عملي استشفاف تصرفات الناس. أنا خبير بلغة الجسد.

زاد كلامه هذا من انزعاجها. فسألته: «هل تستطيع قراءة أفكاري؟».

ارتسم على ثغره طيف ابتسامة، وردّ: «إلى حدّ ما».

داعب نسيم خفيف بشرتها فعلّقت وهي تتمطى بدلال: «هذا أشبه بحلم».

كان نايل منهمكاً عند دفة المركب لكنه استدار نحوها وابتسامة مشرقة تعلو ثغره.

ـ تنتظرنا جزيرة مهجورة لم تشوّهها يد بشري. نحن والطبيعة لا ثالث معنا.

أسندت جيمينا ظهرها تراقب الطيور التي بسطت أجنحتها الرائعة، فبدت وكأنها تستسلم لقوى الطبيعة. فأسرّت إلى السماء: أريد أن أكون عصفوراً مثلها. أستطيع تحمّل أي شيء لقاء يوم أقضيه في الجنة.

www.elromancia.com

بدأت حركة البحر تتغير فاستوت جيمينا في جلستها ولاحظت أنهما يقتربان شيئاً فشيئاً من إحدى الجزر.

بدا الشاطىء حصناً منيعاً تصونه مجموعة من الصخور العالية. وما إن دار المركب حول الصخور حتى شهقت جيمينا وقد أخذت الدهشة منها كلّ مأخذ.

كانت الطبيعة قد شكّلت في هذه البقعة ميناء طبيعياً، حيث المياه بلورية كالزمرد تداعب الرمال العذراء وكأنها قط كسول يتمطى ثم يتراجع مراراً وتكراراً!

قالت جيمينا بنبرة عذبة: «إنها لطبيعة مثالية».

في البدء، لم تقع عينا جيمينا إلاّ على أشجار رائعة بدت وكأنها مزروعة أكثر منها برية. كان الشاطىء حيث رسا المركب، ظليلاً تنتصب خلفه تلة مخضوضرة شاهقة.

تقدّم نايل بمركبه ببطء نحو الصخور ورمى المرساة ثم قفز من المركب واستدار ليقدّم لجيمينا المساعدة.

لكنّ جيمينا قفزت خلفه من دون مساعدة. كانت المياه تغمرهما حتى فخذيهما ما جعلهما يترنحان في مشيتهما، إلاّ أنه أمسك بها بإحكام يسندها. أحسّت جيمينا بالموج يرتطم بها، يلفّها كالدوامة إلاّ أنّ شعوراً غريباً بالتوازن اكتنفها.

استسلمت لحركة الموج، فراحت تتمايل وهي تجيل بنظرها مدهوشة في أرجاء هذا الشاطىء.

وجدت جيمينا طريقاً أحاطت به أشجار النخيل وكأنها مراوح مفتوحة رائعة. وشعرت بالرمل ناعماً كالطحين المنخول حديثاً..

قالت بنبرة لطيفة وقد استبدت بها الدهشة: «نحن الكائنان الوحيدان على هذه الجزيرة».

ـ ألم أقل لك؟

تسمّرت في مكانها تراقب قاع البحر تحت قدميها العاريتين، وتشتم رائحة الملح، وتستمع إلى صوت المد والجزر.

ولكن الأهم هو هذا السكون الذي لفّ المكان.

همست جيمينا التي لم تكن تصدّق عينيها: «لا أصدّق، إنه منظر حقيقي».

راح نايل يتأملها، نايل الذي أصبح فجأة الأكثر وسامة ولطافة وحيوية.

وبحركة ملحّة وبطيئة، رقيقة وعذبة، أزاح عن وجهها خصلة شعر عبثت بها رياح البحر، فشعرت جيمينا بأن دفء الأرض كلها احتشد كي يتيح لها...

يتيح لها ماذا؟ لم تكن جيمينا مهيأة للخطوة التالية، هي التي حضرت شتّى الحفلات الاجتماعية وغازلها أكثر الرجال سحراً.

تسمّرت في مكانها وكأنها فقدت إحساسها بالواقع، فقدت توازنها. كانت جيمينا دار مأخوذة بسحر نايل، مرتبكة، مشوشّة إلى حدّ بعيد، حتى أنها شعرت بالخجل.

سكنت تلك اليد الداكنة وتوقفت عن مداعبة شعرها فيما راحت العينان القاتمتان تتفحصان وجهها وقد غابت عنهما للمرة الأولى، تلك النظرة المشاكسة.

بادرها بنبرة هادئة لا تخلو من القوة: «ستحظين باليوم الذي تمنيته في الجنة، ثقي بي».

٦ ـ لم تكن وهماً ولا سراباً

شقا طريقهما نحو الشاطىء يداً بيد فرحين. وتذكّرت جيمينا الثنائي الذي صادفته ليلة أمس يمسك الواحد منهما بيد الآخر كما تذكرت إيزي ودوم ووالديها.

بيد أن نايل بلاكثورن رجل غريب، لا يكنّ لها أيّ مشاعر، ولا يرى فيها غير امرأة مسليّة وجذابة. كانت بالفعل امرأة جميلة ساحرة تتمنى لو أنّ الله لم يمنّ عليها بهذه المزايا. كما تتمنى لو لم تعد طفلة بريئة، تؤمن بأن الشاب متى أمسك بيد فتاة، فهذا يعني أنه يحبها.

في الواقع، ما من جدوى من التفكير في كل هذه المسائل، فقد وصلت إلى شاطىء يخلب الألباب برفقة شاب وسيم ليخوضا سوياً مغامرة مجهولة.

بادرته جيمينا فرحة: «البصمات الأولى! لا أستطيع لجم نفسي».

واستسلمت للحماسة التي اعترتها، فراحت ترقص والابتسامة لا تفارق ثغرها.

أحست جيمينا بالرمال ساخنة فأطلقت صرخة فرح عفوية وشرعت تركض على طول الشاطىء فيما راحت حبّات الرمل الناعمة تتطاير خلفها. تابعت عدوها فرحة حتى هوت أخيراً تحت شجرة وارفة الظلال عند طرف الشاطىء. نظرت خلفها فوجدت نايل متسمراً مكانه يراقبها وابتسامة مشرقة تنير محيّاه.

بادرها فيما كان يتقدّم نحوها: «يا لهذا الصوت القوي! يسعك تدريب

فريق كرة قدم».

أجابته بجدية: «سأعتبر كلامك إطراء».

أنزل عن كتفه كيساً ضخماً، فسألته: «ماذا تحمل في هذا الكيس؟».

ـ عصير وثياب البحر لك وأدوات الغطس و...

كان قد أحضر معه سيفاً طويلاً يبدو مؤذياً وهو لا يزال في غمده.

سألته جيمينا دهشة: «ما هذا بحق السماء؟».

ـ منجل.

صاحت به جيمينا بنبرة حادة: «تملك منجلاً؟».

ـ كلا، لقد أعارني إياه آل. لا تقلقي فأنا أجيد استخدامه.

هوت إلى الخلف على الرمال المظللة قائلة: «يا إلهي، أنا بمفردي مع قاتل يحمل فأساً».

ـ هذا الشيء لا يهاجم سوى ثمر الخبز والمنغا.

غير أن جيمينا كانت من السعادة ما جعلها تتابع مضايقته وممازحته فقالت: «ستأسرني وتحوّلني إلى قرصان مثلك».

ـ يبدو هذا ممتعاً.

ـ سينتهي بي المطاف على قارب القراصنة حيث أذوق الأمرّين ولن أرى عائلتي أبداً.

أجابها فيما انهمك في التفتيش في كيسه: «إنّما فكّري في التجارب المثيرة التي قد تعشينها. لعلك تصبحين قرصانة حقيقية إن كنت تتمتعين بالمؤهلات اللازمة».

رمى إليها ثوب البحر الجديد فالتقطت جيمينا ببراعة قطعة القماش الزاهية.

ـ لن أصبح يوماً أهلاً لهذا المنصب، فلطالما كنت فتاة مطيعة.

رفع نايل إليها عينين تلمعان، وسمعته يقول: «ابقي معي يا صغيرتي، وسأدلك على الطريق».

لم يتسنَ لها التفوّه بكلمة أو حتى أخذ نفس واحد إذ انحنى وعانقها عناقاً عنيفاً وسريعاً.

يمكن أن يكون هذا المزاج مزحة أو جزءاً من تمثيلية القرصان تلك، لكنه لم يكن كذلك.

لكن نايل استدار بغتة وراح يفرغ ما في الكيس من دون أن ينبس ببنت شفة.

عادت جيمينا إلى رشدها واستوت في جلستها ثم راحت تساعده في إفراغ محتويات الكيس.

ـ انتعلي الحذاء فنحن بعيدون جداً عن أقرب طبيب في حال دستٍ على قنفذ بحر.

أجابته بهدوء قبل أن تنتعل الحذاء من دون أي اعتراض: «شكراً لك».

لم تشأ أن يلمسها مجدداً، خاصة وأنها تشعر بهذا الاضطراب ينهش أعماقها.

قال لها: «هيا نتفرج على جزيرتنا».

فانتصبت واقفة على قدميها وكأن عبء الدنيا كله أزيح عن صدرها.

ـ إذاً، هذه ليست المرة الأولى التي تزور فيها هذا المكان!

ـ أنا آسف، إنما لستِ أول من وطأ هذه الجزيرة.

ـ لكنها غير مأهولة، أليس كذلك؟

ـ نعم. سنضطر لجمع طعامنا بأنفسنا، يستحسن أن نبدأ العمل.

تناول عبوة فارغة من الكيس، فشرح لها عندما قرأ الدهشة في عينيها: «مياه عذبة. لا أطلب من المرأة التي أواعدها أن تكتفي بشرب العصير الساخن».

المرأة التي يواعدها! وتذكرت جيمينا اتهامات آل. هذا الرجل لا يتورع

عن مغازلة النزيلات! ومع هذا، يسامحه ويتركه من دون عقاب! حذارِ، راحت جيمينا تناجي قلبها الجبان، فقد تعتبرين نفسك محنكة، واسعة الحيلة، لكنك لن تتفوقي أبداً على هذا الرجل الماثل أمامك.

تبعته مقطبة الجبين، فوجدت أنه يعرف زوايا الجزيرة ككف يده.

ما إن ابتعدا عن الشاطىء حتى توغلا في غابة من الأشجار الكثيفة الوارفة الظلال حيث غاصت أرجلهما في الوحل.

سألته جيمينا: «هل تسمع خرير جدول؟».

ـ سمعك حاد حقاً، إنه بالفعل جدول.

ـ هل نستطيع أن نشرب منه؟

أجابها فيما كان يتقدم بخطى ثابتة: «بل من أعلى الجبل فالجدول حين يمر فوق الصخور يمسي موحلاً».

كانت تحاول مجاراته في المشي، كما كانت تسعى جهدها لئلا يسمع رنّة التعب في صوتها. لم يشعر نايل بضيق في التنفس بل تابع سيره بسهولة وكأنه يمشي على الشاطىء.

ـ تغطي الأدغال هذه المنطقة كلها إلا أن مياه البحر تغمر من حين إلى آخر هذه الأشجار إلا رؤوسها.

ـ لكني خلتك مجرد زائر، تبدو لي مقيماً مستديماً فيها.

فأطلق ضحكة مدوّية: «أنتِ ذكية فعلاً».

غير أنها لم تقرأ علامات الرضى على وجهه.

ـ هل تتنقل حقاً من كازينو إلى آخر؟ أليس لديك منزل ما؟ في بلد ما؟

ـ ليس فعلاً.

ـ على أي عنوان يراسلك أصدقاؤك؟

ـ اخترع الإنسان البريد الإلكتروني ليسهّل على نفسه مهام كثيرة.

www.elromancia.com

قادهما ممر مخضوضر إلى شلال صغير فراح يملأ الوعاء ماء من الجدول فيما تراجعت جيمينا بضع خطوات لتجيل النظر في الأدغال وتستمع إلى أصواتها.

كان المكان هادئاً وغريباً في آن، اقتربت جيمينا من نايل بحركة تلقائية فرفع عينيه إليها.

حاولت أن تترجم له انزعاجها وخوفها: «هذا المكان يبعث الخوف في نفسي، أشعر بأنني ضعيفة جداً، وفانية».

ـ لن يصيبكِ مكروه ما دمت لا تبارحين هذا الممر.

وانتصب واقفاً قبل أن يضيف بنبرة لطيفة: «سأعتني بك».

وفجأة أحسّت جيمينا بأنها لم تعد تنشد فيه الرجل العطوف الذي يحميها ويخاف عليها و... بل تناجي الرجل القرصان الهمجيّ. تمنت أن يحملها بين ذراعيه إلى سفينته.

بلعت بريقها...

ـ بالطبع، لقد غلبني الخوف. سأكون بخير.

عادا أدراجهما إلى الشاطىء سريعاً. وما إن لاحت لهما الشجرة الصغيرة التي كانا يتنعمان بظلها، حتى أخذت في العدوّ.

ـ أريد أن أسبح.

هرعت إلى البحر وكأنّ جنّ الأدغال يطاردونها. ظنت أن نايل سيلحق بها، لكنه لم يفعل. لم تستطع جيمينا تحديد مشاعرها: هل تشعر بالفرح أم بالإهانة؟ لكنها سرعان ما تناست مشاعرها الغامضة لتستمتع بالسباحة في بحر أشبه بخيوط حريرية دافئة.

لطالما كانت جيمينا سبّاحة ماهرة. فراحت تشقّ المياه النقية من دون أدنى مجهود، حتى تلاشى الاضطراب الذي أثقل قلبها.

كان نايل بلاكثورن رجلاً غريباً لا تفهم طباعه. لكن لا داعي لأن

تضطرب وكأن عالمها كله يتداعى من حولها. وراح نايل يلوّح لها من بعيد كلما استدارت نحوه لكنه لم يلحق بها.

ظلت جيمينا تسبح حتى أعياها التعب فعادت إلى الشاطىء ومشت على الرمال الدافئة.

راحت تردد فيما ارتمت بتثاقل على الأرض: «هذا رائع».

وجدت أن نايل أضرم ناراً في بعض الأغصان اليابسة والأخشاب الطافية. وتمدد على الرمال وقد أسند رأسه إلى قميصه.

قالت جيمينا وقد حوّلت بصرها عن صدره العاري الجذاب: «لا بد أنك نلت وسام الكشافة لإضرام النار، أليس كذلك؟».

ـ كنت حطاباً مثالياً.

ـ هنيئاً لك. ولِمَ عسانا نحتاج إلى النار؟

ـ لحفل شواء. عندما تشعرين بالجوع سأذهب لصيد بعض الأسماك.

ـ مستحيل. كنت أسبح للتو مع هذه الأسماك. إنها صديقتي.

لم يصدق نايل أذنيه ثم أرجع رأسه وراح يقهقه حتى اختنق.

نظرت إليه جيمينا شزراً وقد شعرت بالإهانة.

قال نايل عندما توقف عن الضحك: «لقد اشتريت بعض الأغراض من السوق».

أطرقت جيمينا مفكرة وقد ضاقت عيناها كمن وقف على اكتشاف عظيم: «كنت تتلاعب بي طوال هذه الفترة. أنت لا تنوي مغادرة الجزيرة الليلة».

ـ فلنقل إنني جلبت معي بعض الحاجات الاحتياطية.

التهمت جيمينا غداءها بشهية قبل أن تشرب المياه العذبة التي أحضراها من الجدول.

ـ هذا رائع بالفعل وإن تكبدت عناء إضرام النار بلا جدوى.

www.elromancia.com

جلس قبالتها القرفصاء، فراح جسده المسمرّ ينضح قوة وحيوية. أحست جيمينا بأن قلبها سيتوقف عن الخفقان عندما رأته يهز كتفيه استهزاء لكنها أخفت ضيق نفسها وادّعت أنها تسعل.

ـ لا تهتمي. سيحط شخص ما رحاله على هذه الجزيرة ويستفيد من النار.

أجابته وقد مطّت شفتيها: «أتعني شخصاً أقل حساسية وتكلفاً مني؟».

بادرها بابتسامة مفاجئة تغضنت لها زوايا عينيه فبدا وسيماً وجذاباً إلى حد بعيد. أشاحت بوجهها عنه قبل أن يقرأ أفكارها.

ـ أحب أن أراك حساسة هكذا. إن كانت الأسماك من أصدقائك، فعليك أن تخبري العالم بذلك.

تنهدت جيمينا، وسألته: «هل تعتبرني طفلة مدللة؟».

ـ أنت لا تتمنين معرفة ما أراه فيك.

بدت عينا نايل قاتمتين. إنه جذاب فعلاً!

أجابته بنبرة جافة: «قل لي. أستطيع تقبل الحقيقة».

ـ أحقاً؟ أمتأكدة أنت؟

والتقت عيونهما، فأسرتها عينا هذا القرصان الجذاب، ولم تعد جيمينا تستطيع أن ترفع نظرها عنه. أحست بأن قواها كلها خارت أو حتى انسابت في المياه لتصبّ في هذا المحيط المشمس الرائع الذي يتهادى خلفها.

خاضت جيمينا خلال عملها أسوأ التجارب ما خوّلها التعامل مع أي رجل في العالم، لكنها أحست بنفسها ضعيفة حساسة وسريعة التأثر أمام هذا الرجل.

ـ هل يسعك ذلك فعلاً؟

كرر نايل بلا كثورن سؤاله ثم ضمها إلى صدره بحنان فقدت معه كل إحساس بالزمان والمكان. أرجعت رأسها وأغمضت عينيها وكأن الضوء أقوى مما

تستطيع تحمله.

أحست جيمينا برعشة تسري في جسدها كله، ولفّتها حرارة وقوة انبعثتا من جسديهما معاً. وضعت يديها المشحونتين على كتفيه لتنقل إليه قوة غريبة جعلته عاجزاً عن السيطرة على نفسه، تناهت إليها دقّات قلبه الذي بدا وكأنه ينبض في جسدها أيضاً.

أتى لعناق بسيط هذا المفعول القوي كلّه؟ إلا أنه لم يكن بسيطاً أبداً، بل رحلة إلى مجرة نائية. وعندما افترقا، غمرها إحساس غريب.

استقام نايل وراح يومىء برأسه ضاحكاً، وقد استبدت به الدهشة: «يا إلهي».

فهمت جيمينا مقصده، فهذا العناق حرّك في داخلها أيضاً مشاعر عنيفة. أشرق وجهها بابتسامة شقت شفتيها وكأنها فراشة تحررت من شرنقتها لتنطلق إلى العالم.

ـ أنت ترتجف.

أحسّت جيمينا بجسده يرتجف تحت أناملها لكنّ هذه الرنة الفرحة لم تغب قط عن صوته ولا عن قلبها أيضاً.

ـ أنا لا أرتعش.

وافقته جيمينا الرأي: «بالطبع لا».

ضمّها إلى صدره كمن لا يحتمل أن يبتعد عنها ولو خطوة واحدة. بادرت هذه إلى عناقه.

ـ تعالي نعود إلى المركب!

ـ ماذا قلت؟

لم تكن جيمينا واثقة من أنها سمعته جيداً.

ـ أنت لا تعني ذلك.

ـ أريد أن أعتني بك جاي جاي. لن أؤذيك.

كانت كلماته مخنوقة، واعترتها موجة عظيمة من الحنان.

رفعت يداً معفرة بالرمال ومررتها على رأسه.

ـ لا أريد لعلاقتي بك أن تنحدر إلى مستوى علاقتي مع الباقيات. أريد أن أحافظ عليك. تعالي معي!

أجابت ببساطة: «نعم».

عادا ببطء إلى المركب وأيديهما متشابكة. هناك في فسحة بعيدة عن أشعة الشمس، استلقيا جنباً إلى جنب وأحست جيمينا بأنها تحلّق فوق الغيوم المتناثرة التي تعدو في السماء الزرقاء.

استسلمت جيمينا للنوم فيما راح يمرر يده على خصلات شعرها. هذا الشعر الجميل، لم يبد يوماً أسوأ حالاً. كان رطباً ومتشابكاً تفوح منه رائحة البحر وتملأه الرمال.

غرقت في النوم هانئة البال لأنها تشعر بأنها محبوبة، ثم استيقظت من سباتها على رائحة البن. جلست تفرك عينيها وشعرت بأن جسمها كله يشع ابتسامة. كانت لا تزال تشعر بأنها محبوبة.

أجالت النظر في ما حولها فلاحظت أن الشمس تحركت من مكانها والسماء بدت مختلفة.

ـ هل استيقظتِ؟

استدارت جيمينا نحوه فرأته يبتسم لها وقد صفت عيناه الآن.

أحست جيمينا أنها تعرفه منذ الأزل، وكأنهما حبيبان قديمان. الحب، الحب مجدداً.

مدت له يدها، فطبع عليها قبلة بحركة طبيعية جداً وكأنه مغرم بها.

ـ أتريدين فنجاناً من القهوة؟

ـ ممم.

أحضر فنجانين من القهوة تفوح منهما رائحة زكية.. فجلسا يحتسيان القهوة بانسجام تام.

باردته جيمينا حالمة: «أعتقد أنني أحب المراكب».

ـ للإبحار بعض الجوانب الحسنة، انضممت مرة إلى طاقم سفينة تشحن الموز. ولطالما تمنيت معاودة الكرة.

ـ هل تعني عندما هربت من المنزل؟

ـ أجل.

أجابته بنبرة مشجعة كمن يثني على تصرفه: «هذا رائع بالفعل».

ـ إنها لتجربة رائعة. لكنني لن أرغب في تكرارها.

ـ أخبرني!

ـ ماذا تريدين أن أخبرك؟

ـ عن ذاك المراهق، ابن السابعة عشرة من عمره الذي هرب من البيت.

مطّ شفتيه قبل أن يباشر حديثه: «حسناً. لا تتوقعي سماع قصة مشوّقة. وقع شجار عنيف بيني وبين أبي الذي أراد أن التحق بالجيش فيما كنت أرغب في أن أتخصص في علم الرياضيات الذي أبرع فيه إلى حد بعيد».

سألته جيمينا مدهوشة: «ألم يكن بإمكانه تحمل مصاريف الجامعة؟ ألم يسعك نيل منحة ما؟».

ـ كان بإمكانه أن يسدد التكاليف. لذا، تعذّر عليّ نيل منحة.. كان أبي ينفق أمواله بشكل جنوني إلا أنه لم يرغب مساعدتي فهو لا يكترث لتحصيل الشهادات الجامعية. كانا يعتبران أنّ الابن الأصغر مرغم على تنفيذ ما يُطلب منه دونما اعتراض.

قاطعته جيمينا غاضبة: «ذلك الوغد».

www.elromancia.com

فما كان منه إلا أن عانقها قبل أن يتابع قائلاً: «كنت أجيد احتساب الأرقام فقررت أن أستفيد من هذه النعمة. كنت أقصد الكازينوهات في العطل، فقررت أن أعمل في أحدها».

ـ كيف انتقلت من موظف على طاولة القمار إلى مقامر؟

ـ لم أستطع أن أشغل هذه الوظيفة طويلاً لأنني كنت يافعاً جداً فانتقلت إلى الجهة المقابلة من الطاولة. في هذه الأثناء، عملت في شتى المجالات لأكسب قوتي، عملت كنادل وكساعي...

ـ وكبحار على سفينة شحن.

ـ هذه كانت أفضلها.

ـ أنا مسرورة لذلك.

ـ شكراً لك على مشاعرك.

ـ هل عدت بعدئذ إلى ديارك؟

لم تكن جيمينا راضية عن الظلم الذي لحق به.

سألها: «حددي مفهومك للديار».

ـ أنت تمزح، أليس كذلك؟

ـ كان لأبي ابنان وثلاثة منازل وخمس زوجات. تعلّمت في مدارس داخلية منذ سن الخامسة وأمضيت العطل لدى الأقارب أو زملاء الدراسة. أعيش في ترحال منذ زمن طويل.

تملّكت جيمينا الدهشة فاستوت في جلستها وعانقته بشدة. فسألها بصوت مخنوق: «لقد صنعت مني هذه التجربة الرجل الذي أنا عليه اليوم. فهل تتذمرين؟».

جابته: «كلا».

ـ عظيم، هل تبكين؟

راح يتلمس وجهها ثم رأسها متعجباً.

ـ بالطبع لا.

أشاحت بوجهها عنه، فما كان منه إلا أن أمسك بذقنها برقة ليرغمها على النظر إليه مباشرة.

ـ لم يذرف أحد يوماً دمعة على حالي. لا داعي يا حبي. لقد أبليت حسناً بحق.

ابتلعت جيمينا بريقها: «بالطبع! إذاً، لم ترجع أبداً إلى ديارك... انكلترا؟ أبداً؟».

أدركت أنه لا يسعها أن تستعمل كلمة «ديار» وتنبهت بعد فوات الأوان إلى أن سؤالها هذا يبعث الكآبة في نفس نايل.

تباً لهذا القدر! أصبحت تنشد الآن علاقة حقيقية. كانت لتعرض عليه أن يرافقها إلى لندن كحبيبين هائمين في حب بعضهما البعض، إلا أن هذا العرض لا يلائم قرصاناً رحالاً يقدّس الحرية.

أشاحت بوجهها عنه، مسرورة لأنه لم يلحظ احمرار وجهها خجلاً.

ردّ نايل وهو يستعيد شريط ذكرياته: «أقصد لندن بين الفينة والفينة. إلاّ أنني أتردد دوماً على الكازينو الذي آواني في صغري».

استشفت جيمينا نبرة غريبة في صوته فاستدارت لتنظر إليه ملياً. كانت عيناه تحدّقان إلى الأفق البعيد بنظرة فارغة. سألته بجنان: «هذا لا يبشر بالخير، أتريد أن نتحدث عن الأمر؟».

أجابها متردداً: «ليس بحديث لبق».

ـ وإن يكن.

سمعت صوته يرتجف: «كنت في ربيعي الثامن والعشرين وكنت أعتقد أنني

www.elromancia.com

خبرت الدنيا بعد أن جبت العالم. لم آخذ امرأة في حياتي على محمل الجد حتى صادفتها فجأة، «المرأة المثالية التي لم تكن وهماً ولا سراباً». لم أعد أقوى على مفارقتها».

ساد صمت مفاجىء بينهما. راحت تناجي نفسها: حسن، أنا من طلب منه مصارحتي، فلماذا يتنابني هذا الشعور الفظيع وكأنه سدد لي ضربة مميتة؟.

سألته بهدوء: «ماذا جرى إذاً؟».

ـ لم تكن ترغب فيّ.

أمسى صوت نايل بارداً، لا رنة فيه.

ـ إنها مجنونة أليس كذلك؟

ـ أبداً، إنها تعشق حياة الأسرة، وتحب أن تعيش في كنف منزل دافىء بينما لم أرغب يوماً في تأسيس عائلة بخلاف أبيجيل التي كانت تتوق لمنزل كالذي ترعرعت فيه.

أجابته جيمينا وقد فهمت أخيراً المشكلة: «إذاً، لم يكن جايمس بوند يفي بالغرض؟».

خيّم بينهما صمت قاطعه نايل متابعاً: «لن ترغب امرأة سليمة العقل بجايمس بوند إن فكرت ملياً بالأمر».

أنا لا أمانع أبداً، وارتعشت جيمينا حين أوشكت أن تنطق بأفكارها بصوت عال.

ـ لكن فتيات كثيرات يخالفنها الرأي.

ـ ليس حبيبتي آبيجيل.

حبيبتي آبيجيل، هل سيدعوني حبيبتي جاي جاي بتلك النبرة التوافة؟ بالطبع لا. لم تكن غير دمية جذابة يتسلى بها. إنها مجنونة، لو ظنت خلاف ذلك.

بعدئذ، أتت كلماته لتؤكد شكوكها: «تحب النساء الرجل الغامض، أليس كذلك؟ أو على الأقل هذا ما يعتقدنه. كانت آبيجيل تعرفني جيداً، وتعرف أني لست غامضاً. كما أنها كانت ترفض أن تعيش في ترحال مستمر وترغب في قطط وكلاب وأحصنة ومزرعة تربيها فيها».

بادرته بنبرة باردة: «تبدو وصولية».

ردّ نايل بصوت حنون يفضح الحنين الذي جاش في صدره: «كلا، لكنها شبّت في إطار مماثل. وكانت تنسجم تماماً ونمط الحياة الذي عجزت شخصياً عن تأمينه لها. فما كان منها إلا أن اختارت الشخص المناسب الذي يناسب الإطار الذي رسمته لحياتها».

كرهت جيمينا تلك الرنة في صوتها فصاحت به عالياً: «لا يعقل أن تكن لها المشاعر نفسها حتى اليوم، أليس كذلك؟».

ـ لِمَ لا؟

تمنت جيمينا الموت لنفسها. إلاّ أن نايل لم يلحظ الصراع الداخلي الذي تعيشه فجاء صوته بارداً قاسياً.

ـ أعتقد أن المقامر يعرف متى ينسحب ليحدّ من خسارته. وأعتقد أني رجل يعشق امرأة واحدة.

هزّ كتفيه استهزاءاً فيما راحت تتأوه وتتعذب بصمت.

ـ قد تعود يوماً لتتزوج بها، ما رأيك؟

أجابها ببرودة تامة: «هذا مستبعد جداً».

ـ هيا، لا تستسلم. يمكنك الفوز بما يكفي من المال لتشتري قصراً مع بركة سباحة وطائرة خاصة وما تتمناه من أحصنة.

خيم الصمت لحظات طويلة وأحست جيمينا أنها ترجمت عالياً ما فكّر فيه

آلاف وآلاف المرّات.

أجابها بهدوء: «لكنني سأبقى نايل بلاكثورن، ولن أتغير أبداً».

٧ ـ عاصفة في قلب

كبتت جيمينا انزعاجها وغيرتها.

وراحت تضحك وتمازحه بذكاء أكثر من أي وقت مضى في حياتها.

وعندما استسلم للنوم، دمعت عينا جيمينا وتمنّت لو لم تكن على متن هذا القارب.

كان الهواء خانقاً، على الرغم من الغيوم في السماء، ولم تعد تشعر بالنسيم العليل يداعب بشرتها. فكرت في سرّها أنّ عليها أن تجد طريقة لترحل.

أمست هذه الفكرة حاجة ضرورية، لابدّ منها. كانت تشعر بها تسري على بشرتها وتنخر عظامها، وتلوث دمها. كان لا بد لها من الابتعاد عنه، من الانفراد بذاتها وإن لفترة قصيرة. عليها إيجاد وسيلة تلطف بها الألم المبرح الذي يعتصر منها القلب.

تأملت الشاطىء حيث ضحكت، والبحر حيث لهت. أين هي الآن؟ استدارت وهربت. راحت جيمينا تسابق الريح شاقة طريقها على الصخور الضخمة التي تحاكي الزجاج نعومة. إلا أنها كادت تقع في البحر المزبد الذي يتراطم على الصخور.

حاذري يا جيمينا!

استجمعت قواها إذ لم يكن الحذاء الذي تنتعله الأمثل لتسلق الصخور. يستحسن أن تتوخّى الحذر.

وأخيراً بلغت الجهة الثانية من الشاطىء. هامت على طول الشاطىء،

www.elromancia.com

والتقطت قطعة خشب ورمتها كيفما اتفق. الرجل يعشق امرأة أخرى، يهيم بحبها حقاً فيما لا يرى فيها سوى نزوة. لكن ما همّ جيمينا؟ لم تمضِ معه سوى ثلاثين ساعة، صرفت معظمها تتشاجر معه. لم يكن يجدر بها أن تتوقف عن الشجار معه.

هيا يا جيمينا، لقد مررت بتجارب أسوأ. لقد نغّص عليك باسيل عيشتك وتلاعب بك حتى عجزت عن التفكير بشكل سويّ. ومع هذا، تخطيت تلك المحنة كما ستتخطين غيرها. إلا أن باسيل لم يفطر قلبي...

تسمرت في مكانها.

ألم يفطر قلبها؟ أهذا يعني أن نايل بلاكثورن يستطيع أن يحطم فؤادها؟ أو حتى حطم فؤادها فعلاً؟

أحست جيمينا بشيء فيها يحثها على المقاومة، يشجعها.

عظيم! هذا كل ما أحتاج إليه: حياة مهنية متداعية ومختلاً نذر حياته لإزعاجها، والآن قلب منفطر. همهمت جيمينا: «يا لها من عطلة».

تناهى إليها صوت يناديها بقوة، فاستدارت.

كان نايل واقفاً على الصخور، بعيداً جداً عنها فاستحال عليها رؤية ملامحه. لكنها أدركت أنه قلق. سوّت جيمينا كتفيها ولوحت له بيدها وكأنها سرت لرؤيته.

قفز بخفة على الشاطىء ومشى متبختراً نحوها فبادرته بابتسامة عريضة مشرقة ووقفت تنتظره.

حاولت أن ترمقه بنظرات طبيعية لا تترجم الشغف الذي يستعر في داخلها. وأحست رغماً عنها بجفاف في حلقها.

كان نايل طويل القامة، أسمر البشرة، أما شعره فأسود ناعم. ولم يكن وجهه الغريب غير المتناسق بأنفه المعقوف وعينيه الناعستين بالوسيم فعلاً.

لِمَ عساه يستحوذ على عقلها وقلبها؟ إنه يأسرها فعلاً، يسلب تفكيرها.

كانت واحدة من كثيرات ضعفن أمام سحره، وهذه الفكرة تشعرها بأنها حمقاء ساذجة، لكنها على الأقل تثلج صدرها وتبرد الخوف الذي يعتريها.

سألها عندما اقترب منها: «تبدين كئيبة».

ـ كنت أفكر في بعض الأمور.

ـ أهذا كلّ شيء؟.

أحاطها بذراعه، فأحست جيمينا بجسمها كله يتصلّب، لكنها عادت واسترخت. لا بدّ لها من العودة إلى البنتكوست من دون أن تأتي بأي تصرف أحمق.

اقتربت منه وأحنت رأسها لتلقيه على كتفه فلا تعود مرغمة على النظر في عينيه.

قال نايل وهو يشير إلى شجرة قطع منها غصن صغير ليعطيها إياه: «تفوح منها رائحة البحر، أليس كذلك؟».

أحسّت جيمينا بالدم يتجمد في عروقها فتراجعت بضع خطوات بشكل تلقائي. لم تشأ أن يأتيها نايل، القرصان محطم القلوب، بعطور دافئة مثيرة لتشمها.

أجابته بنبرة باردة تفتقر إلى الحماس: «أنت محق».

ـ ما خطبك يا حبيبتي؟.

تسمر في مكانه يحاول أن يفهم من ملامحها ما يزعجها.

أحست جيمينا بألم في عينيها لسماعها هذه النبرة العذبة التحببية وإن لم يكن يعنيها فعلاً.

أم لأنه لم يكن يعنيها فعلاً! استدارت جيمينا لتقاوم سحره بكل ما أوتيت من قوة.

ـ لا شيء. لعلها أشعة الشمس القوية فهي تمسي مزعجة في هذه الساعة، أليس كذلك؟

رفع ناظريه إلى السماء قبل أن يجيبه: «أشعر بعاصفة تتحضر، يستحسن أن نعود إن كنا نود تلافيها».

ـ حسن.

ـ ماذا لو بقينا هنا وتناسيناها؟.

بدا نايل كمن ينتظر رداً على دعوته هذه لكنها لم تتفوه بحرف، فتابع بنبرة عذبة: «يمكننا إضرام النار».

تفاجأت جيمينا باقتراحه هذا. كانت تعلم أن جرحها عميق ينزف معه قلبها، لكن الألم الفعلي لم يبدأ بعد. ستشعر به يعتصر فؤادها بعد قليل.

أحست بيديّ نايل تشدان على ذراعيها: «ما خطبك يا جاي جاي؟».

بلعت بريقها وقد عجزت عن الكلام. أما نايل، فتنهد وتابع: «حسن، سنقصد البنتكوست. أمتأكدة أنت من أن هذا ما تريدينه؟».

ـ بالطبع، لا بدّ لي من غسل شعري. لم أبد يوماً بهذا السوء.

عادت جيمينا المحاربة لتمسك بزمام الأمور.

تنهد نايل ورضخ للأمر الواقع، فعادا أدراجهما ووضّب نايل الأغراض في الكيس الكبير ورفعه بخفة وكأنه قطعة خشب.

ـ أنت قوي حقاً.

أشرق وجهه بابتسامة لكنّ عينيه ما برحتا تبحثان عن سبب هذا التغيير طوال طريق العودة.

راح المطر ينهمر فيما كان المركب يرسو في الميناء.

هرعا إلى سيارة الجيب الضخمة، من دون أن يمسك أحدهما بيد الآخر إلا أن جيمينا أطلقت ضحكة عالية متكلفة.

استحالت قطرات المطر عاصفة هوجاء فما كان من نايل إلا أن ركز على الطريق سيما وأن ستاراً من الأمطار انسدل على الزجاج الأمامي.

لم يوصلها إلى الردهة إنما أوقف سيارته عند مدخل المبنى حيث غرفتها. أطفأ محرك السيارة ثم استدار نحوها: «أخبريني الحقيقة يا جاي جاي. ماذا فعلت لك؟».

ـ قدمت لي نهاراً رائعاً. شكراً لك. إنما يجدر بي أن أهرع لاغتسل.

أجابته بلطف ثم فتحت الباب وترجلت بسرعة قبل أن يتسنى له إيقافها.

داس نايل على الفرامل بعنف واقتحم الردهة وتوجه رأساً إلى مكتب الاستقبال حيث وجد آل جالساً.

ـ أعطني سجل الحجوزات.

أجابه: «لا أستطيع ذلك، إنه يسجل معلومات جديدة. نحن ننتظر نزيلاً يصل في طائرة الغد».

ـ أهنتك. ظننت أنك تلعب الورق على الكمبيوتر لتوهم الناس أنك منهمك في العمل.

ردّ آل ممازحاً: «تكون أحياناً جارحاً فعلاً».

كرر نايل بنبرة جافة: «أرني السجل حالاً».

ـ لماذا؟.

ـ جاي جاي كوبر. أريد أن أراجع المعلومات عنها.

أبدى آل اعتراضاً لكن نايل لم يعره اهتماماً، حتى أنه أزاحه عن كرسيه ليحل مكانه قبل أن يدخل في الحاسوب المعلومات المناسبة. نعم، ها هي، بطاقة اعتماد: جيمينا دار. دار وليس كوبر، لماذا يا ترى؟ أهي متزوجة؟ أيعقل أن تكون قد هربت من زوجها؟.

قطب نايل وجهه.

www.elromancia.com

ـ ماذا تفعل؟.

تابع نايل بفظاظة: «أكتشف مع من أمضيت نهاري. ها هي!».

ها هي بنفسها، جيمينا دار عارضة الأزياء العالمية تتمايل أمام عدسات الكاميرا.

بدت فيها مثلما رآها بعد ظهر هذا اليوم: عينان واسعتان وناعستان، فم شهي منفرج بعض الشيء.

أحس نايل بألم في معدته، فيما أطلق آل صفرة طويلة.

ـ يا لهذا التغيير، تبدو اليوم مختلفة.

أجابه نايل غاضباً: «ماذا تقول؟ بل تبدو تماماً كهذه الصور، حورية لا مثيل لها».

ثم قرأ نايل بصوت عالٍ: «أنوثة مؤلمة، ممزوجة بجاذبية لا تقاوم».

وأضاف: «إنهم محقون بالفعل».

علق آل: «يا إلهي!»

خانت الكلمات هذا الأخير فلم يعرف ماذا يقول لصديقه.

كان ينوي أن يسخر من نايل بعد أن فشل في مغازلة إحدى النزيلات إلا أن المسألة بدت أخطر بكثير من مجرد التقرب من شابة جميلة.

ـ ستوضب أمتعتها لا محال لترحل في الغد، يبدو أنها تلوذ بالفرار متى طرأ طارىء، لو أنها....

ـ أنت تتصرف بصبيانية، تمالك نفسك، إنها امرأة وأنت بلاكثورن، ستأتي إليك في نهاية المطاف.

ـ ليس قبل أن تسرّ إلي بمكنونات صدرها. كانت على وشك مصارحتي بكل شيء.

ـ حاول مجدداً، كيف يسعني مساعدتك؟.

ـ أعتقد أنها ستسافر في الغد، وستلافى محادثتي هذا المساء. أجهل السبب.

ضرب المكتب بقبضته بقوة، أجفل معها آل وكاد يقع عن مكتبه.

ـ لن يفيدني الآن غير تعويذة أو ضرب من ضروب السحر.

أجابه آل وقد ارتأى نقل هذه المهمة للسلطات العليا: «تعويذة؟ سحر؟ سأحدث إيللي».

استغرقت جيمينا وقتاً طويلاً في الاستحمام، فاعتنت بشعرها عناية فائقة ودللته. صرفت أكثر من ساعة في الحمام، غمرها على إثرها إحساس عارم بالنظافة، ما نجح في تخفيف الألم الذي يعتصر قلبها.

كانت منهمكة في تجفيف شعرها عندما سمعت قرعاً على الباب. فكّرت جيمينا في سرها: إنه هو.

لن يسهل عليها فتح الباب والعودة إلى التمثيل، إلا أنها لن تستطيع تجاهل هذا القرع!

تدثرت برداء الحمام الخاص بالفندق وعقدت منشفة حول الشعر المجعد ثم استجمعت قواها.

استهلت حديثها فيما فتحت الباب: «أنا جد متعبة... آه».

لم تصب توقعاتها، فقد رأت صاحبة الفندق تقف عند الباب.

ـ أرجو المعذرة، هل أتجرأ وأسألك خدمة؟.

بادرتها إيللي وهي تدخل بخطى ثابتة رشيقة وكأنها دعتها للدخول.

أجابتها بسأم: «بالطبع، ماذا هنالك؟».

أفادتها ايللي أن إحدى النزيلات تعرفت عليها: «إنها محقة أليس كذلك؟ أو لست عارضة الأزياء جيمينا دار؟ لقد رأيت صورك في مجلة أناقة».

فكرت في سرها: لن يفيدك النكران.

ـ حسن، أتساءل إن كنت تقبلين أن تحلي ضيفة شرف في الحفلة التي نقيمها هذا المساء؟ أعلم أنك تودين إمضاء عطلتك بسلام، لكنك ستكونين قد عدت إلى ديارك قبل أن تتسرب المعلومات إلى الصحافة. ستتقذين فندق «القرصان». لقد وظفنا مدخراتنا كلها فيه، وقد توقف الناس عن التوافد وبدأ المال ينفد منا والآتي أعظم. ستنفد مواردنا بعد عيد الفصح إلا إذا وقعت أعجوبة.

رفعت جيمينا يداً إلى رأسها: «هل تظنين فعلاً أنه في حال نزلت عندكم شخصية مشهورة فسيهرع النزلاء لتمضية العطلة هنا؟».

كانت الحفلة وليدة اللحظة، ابتكرها آل وايللي لمساعدة نايل إلا أن الأرقام التي قدمتها كانت حقيقية.

ردت إيللي بصراحة: «بالطبع».

ـ حسن، ليس لدي ما أفعله حالياً. لكنني أحذرك أنّ أملك سيخيب إن كنت تتوقعين أن أرتدي فستاناً للسهرة.

لم تصدق ايللي أذنيها فهي لم تكن تؤمن فعلاً بخطتها هذه.

ـ لا عليك! يمكنك استعارة ما شئت من خزانتي. في الواقع تعالي الآن والقي نظرة عليها.

استفاقت جيمينا أخيراً من غيبوبة اللامبالاة التي استحوذت عليها.

ـ لا يسعني الخروج هكذا، قد... قد يتعرف إلي أحد النزلاء.

ارتدت سروال جينز وقميصاً بغضون دقيقتين. علا حاجبا ايللي استغراباً لكنها لم تنبس ببنت شفة بل اصطحبت جيمينا بسرعة إلى كوخها الخاص.

ـ من سيحضر هذه الحفلة؟.

ـ بعض الضيوف ووزير السياحة ومحرر من مجلة «مسنجر» ومديرة شركة الخطوط الجوية المحلية.

لم تخبرها ايللي أن وزير السياحة ليس سوى ابن عمها.

بلعت جيمينا بريقها وكأنها تشعر بألم في حلقها: «ضيوف؟ هل سيحضر نايل مثلاً؟».

أجابتها ايللي بشجاعة: «طبعاً. فمديرة شركة الطيران مفتونة به».

أطرقت جيمينا مفكرة وهي تبذل قصارى جهدها لتبدو سعيدة. تقدمتها ايللي إلى غرفة النوم ذات الأرضية الخشبية ثم فتحت خزانة ضخمة.

ـ اختاري ما شئت. لدي مجموعة كاملة من الأزياء الجريئة وأخرى تناسب أميرة حالمة.

كانت جيمينا قد ارتدت كفايتها من الثياب الجريئة على المسارح ولم تشأ التبختر بها أمام هذا القرصان، محطم قلوب الحسناوات.

سألتها جيمينا بوجه مشرق: «وماذا تضم مجموعة الأميرة الحالمة؟».

جلبت ايللي الثياب من آخر الخزانة. كانت عبارة عن تنورة فضفاضة من الموسلين، وقميص مكشوف الظهر بدا لها عادياً جداً حتى لاحظت التطريز المتقن الذي زين أحد الكتفين وجزءً من التنورة.

ـ كان أبيض اللون لكن الأقمشة كلها تصفر هنا إذا ما تركناها في الشمس. أزين عادة هذا الثوب بوشاح من الحرير لئلا يخاله الناس فستان عرس.

سرت قشعريرة في جسد جيمينا، وقالت: «سأضع أكثر الأوشحة لديك إشراقاً».

فآخر ما تتمناه النزول إلى الحفلة بملابس تليق بعروس، إن كانت ستلتقي نايل بلاكثورن.

وجدت ايللي وشاحاً زمردي اللون طرزت عليه بعض الرقاقات الزجاجية الصغيرة التي تعكس الضوء مع كل حركة تأتي بها، واللون الأخضر في عينيها البنيتين الواسعتين.

حملت جيمينا الثياب إلى غرفتها. ستبدأ الحفلة عند السابعة، فألقت بنفسها

على سريرها وراحت تحدق إلى سقف الغرفة. شعرت بالألم يعتصر قلبها. وفجأة، بدا لها الإحساس العارم بالخوف والخيانة الذي اعتراها خلال أزمتها مع باسيل سخيفاً وبسيطاً بالمقارنة مع ما تشعر به الآن.

نزلت جيمينا عن سريرها عند الساعة السابعة والربع لتنسل في الثوب الجميل الذي أعارتها إياه ثم وقفت تتأمل نفسها في المرآة.

كان مزينو الشعر، في الآونة الأخيرة، يتنافسون ليصففوا لها شعرها الرائع لكنها اعتادت منذ سنوات أن تصففه بنفسها، تنفّشه بحركة سريعة خبيرة. وفي غضون دقائق، بدا شعرها شلالات من الخصل الحمراء تستعر كالجمر، كالياقوت.

لم يكن التبرج بأهمية الشعر لكنه سيتعين عليها تأدية دورها بنجاح. كانت بشرتها تتألق بسمرة ذهبية فاتحة إثر اليوم الذي قضته على الشاطىء فلم تضف عليها شيئاً. واكتفت بتزيين شفتيها بأحمر نحاسي جريء زاد فمها نضارة.

بدت جيمينا في المرآة متألقة أخاذة.

إن لم ينهر أمامي الليلة، فيستحسن أن أتقاعد، هذا ما فكرت فيه بسخرية لاذعة.

وضعت الوشاح الزمردي وتوجهت إلى الحفلة لتبرهن لنايل بلاكثورن أن ثمة نساء كثيرات يسعه الانسجام معهن جيداً.

أقامت إدارة الفندق الحفلة وسط بركة من الأضواء يخيل للناظر أنها مباشرة من لوحة لرامبرانت. توقفت جيمينا هنيهة لتبتلع بريقها وتستجمع قواها ثم ارتقت مسرحاً صغيراً، فبدأت الثرثرة تخفت بشكل ملحوظ فيما التفت الساهرون إليها.

ما كان منها إلا أن طبقت ما تعلمته على مر السنين: لم تعر الموجودين أي اهتمام بل ثبتت نظرها فوق رؤوسهم، ثم أرجعت شعرها إلى الخلف لتمشي الهوينى. استمالت الأصوات من حولها همسات تتناهى إليها من هنا وهناك.

مشت جيمينا بين الضيوف من دون أن تتلفت يمنة أو يسرة بل توجهت رأساً إلى المضيف.

بادرته بنبرة مدروسة: «مرحباً يا آل. أشكرك على الدعوة».

بادرها آل وقد شلت الدهشة تفكيره: «تبدين أخّاذة يا جيمينا».

ـ شكراً لك.

علا حاجبا جيمينا، ووضعت يدها على ذراعه لتطالع أحد المصورين بابتسامة.

تجاذبت أطراف الحديث مع وزير السياحة بلباسه الرسمي فيما ثرثرت قليلاً مع محرر الصحيفة الذي ارتدى للمناسبة قميصاً مزركشاً.

ثم بدأت الفرقة الشعبية عزفها.

خرج نايل من الظل، وأحست جيمينا بجفاف في حلقها.

قال لها نايل: «ارقصي».

سألته بنبرة ممازحة: «هل تدعوني للرقص أم تأمرني؟».

أحاط خصرها بيده وقادها بعيداً عن الأضواء.

ـ لا أستطيع الرقص فيما أمسك بهذا الكوب.

تناول الكوب من يدها وسكب العصير على الرمال ثم أقحم الكوب في جيب سترته.

ـ هذا لبق حقاً، يعكس طفولة معذبة.

ـ لقد علمتني الحياة الكشفية أن أجد حلاً فورياً لكل مشكلة.

كان الساهرون يتهادون على وقع أنغام الموسيقى الكاريبية الساحرة. فوجه نايل جيمينا إلى المجموعة من دون أن يضغط على ذراعيها.

كانت أنفاسه تداعب شعرها المنسدل على كتفيها، والذي بدا الليلة بأحسن حالاته. رآها هذا المساء على حقيقتها، لعلها لا تشبه حبيبته المثالية لكنه على

الأقل سيتذكرها دوماً.

همس لها في أذنها: «مما تهربين؟».

شلّت الدهشة حركتها، وزلّت قدمها فأحكم نايل قبضته عليها.

أجابته بعد حين: «لا أفهم ما تعنيه».

ـ أحقاً يا آنسة جاي جاي كوبر؟.

سرت قشعريرة في جسدها وعجزت عن التفكير بشكل سوي فيما يداه تطوقانها على هذا النحو.

ـ أنا شخصية مشهورة. أسافر متخفية طوال الوقت....

فأجابها نايل بنبرة لاذعة: «ليس لدرجة أن تبتاعي ثياب السباحة من سوق شعبي. اعترفي. لمَ هرعت إلى هذه الجزيرة وقد شبكت شعرك في ضفيرتين وأخبرت آل أن اسمك كوبر؟.

كم هذا رهيب! أغمضت جيمينا عينيها لبرهة، وقالت: «كنت أرغب في ذلك فحسب».

ـ ترّهات.

ـ حسن، لقد سئمت تمثيل دور الأميرة المدلّلة وأردت التعرف على حياة مسافر مترحل عادي.

ـ عليك التفكير في عذر أفضل.

همهمت جيمينا على مضض: «أنا أحاول».

ـ ضاعفي جهودك.

لم يبد أي تعاطف معها، فأطلقت جيمينا صوتاً ينم عن الغضب الذي يجيش في صدرها.

ـ لا بد أن السبب هو أحد الأسباب الثلاثة التالية: العمل أو المال أو القلب، فأيّ واحد منها؟.

أجابته رغماً عنها: «فلتستبعد المال».

رمقها بنظرة متفحصة: «أهو رجل؟ زوج ربما؟».

أومأت جيمينا برأسها.

ـ أهو حبيب؟.

ـ انس الموضوع من فضلك.

ـ حبيب؟ ماذا حدث، هل كففت عن حبه؟ هل توقف عن حبك؟.

عاد يسألها وكأنه قد وقف على الجواب اليقين.

أجابته من دون أن يتسنى لها الوقت للتفكير: «كلا، لا استطعت حل مسألة الحبيب هذه».

ـ يبدو أنك احتجت للمساعدة.

نفذت عيناه الثاقبتان إلى أعماقها، فما كان منها إلا أن أطلقت ضحكة حادة ترجمت اليأس الذي يملأ صدرها.

ـ إن كنت تحتاجين لبطل ما، فأنا الرجل المناسب.

كلا لست كذلك، فأنت رجل لامرأة واحدة وأنا لست تلك المرأة، هذا ما فكرت فيه جيمينا في سرها قبل أن تجيبه بصوت عال: «لا أعتقد ذلك».

فأجابها نايل بالنبرة الهادئة ذاتها: «أنت إذاً مخطئة».

سألته بنبرة باردة متحفظة: «ما شأنك بعلاقاتي الغرامية؟».

ـ لنقل إنك تثيرين فضولي.

ـ شكراً لك.

ـ أضيفي أننا أمضينا يوماً معاً حيث لم نكتفِ من معانقة بعضنا.

أخذها نايل على حين غرّة فجفلت. وسمعت نفسها تجيب بذكاء متناسية الألم المبرح الذي اهتز له كيانها.

ـ لم يكن ذلك سوى غمامة صيف، فلا تأخذها على محمل الجدّ.

www.elromancia.com

أحكم قبضته عليها أكثر فأكثر، وقال: «أنت لا تعنين ذلك».

ـ نحن نعيش في القرن الواحد والعشرين حيث لا تعلق النساء أهمية على عناق.

أجابها وقد تجهم وجهه: «لست من هذا النوع».

صاحت به وقد تملكها الغضب فجأة: «تظن أنك تعرفني جيداً، أليس كذلك؟».

ـ أتقولين العكس؟.

بذل نايل جهده ليبدو مرحاً لكنها استشفت نبرة غضب جلية في صوته.

ـ أقول إنك لا تعرف عني شيئاً، أفلتني الآن، لا أرغب في الرقص معك ولم أرغب في ذلك يوماً.

انفجرت به غاضبة فامتقع وجه نايل، ورفع ذراعيه عنها وكأنها خزته بدبوس.

تنحى عن طريقها بلباقة تامة، فابتعدت عن الأضواء من دون أن تنظر خلفها نظرة يتيمة واحدة. لذا، لم تر الرجل الذي ابتعد عن الحشد لينسل خلفها.

لكن آل شاهده فناداه: «أنت!».

لكن الرجل كان قد انصرف.

بادر آل زوجته بعجلة: «لقد لحق أحد الساهرين بجيمينا دار».

ـ إنه لرجل محظوظ!

ـ كلا، أقصد أنها ذهبت بمفردها في نزهة على الشاطىء وقد لحق بها. لا أظن أنها تنبهت له.

سألته ايللي: «على الشاطىء؟ ألم تستوقفه؟».

ـ لقد ناديته لكنه لم يسمعني.

ـ أو لم يرغب بالرد عليك. أهو مقامر أم غطاس؟.

ـ لا هذا ولا ذاك. إنه الرجل الذي وصل هذا الصباح على متن طائرة باربادوس.

تبادلا نظرة متشائمة تنذر بخطر ما، فيما قالت إيللي: «نحتاج إلى نايل».

لوحت للمعني بحماسة: «نايل، نايل، هنا، بسرعة».

فما كان من نايل إلا أن توجه إليها ليسألها: «أهي حالة طارئة؟».

بدا وجهه مكفهراً كئيباً وكأنه أمضى عشرين عاماً في السجن.

انبرت ايللي تخبر نايل عن الغريب الذي قدم بطائرة باربادوس. فتغير وجهه وعادت الحياة إليه: «تباً إنه الرجل الذي يطاردها. لماذا لم تخبرني بحق السماء؟ سأدق عنقها...».

ثم سأل آل: «أي اتجاه سلكا؟».

ـ لقد ابتعدا عن الكازينو.

في الواقع، كانا قد توجها إلى أكثر أجزاء الشاطىء عزلة ووحشة.

* * *

كان النسيم عليلاً عابقاً برائحة البحر والسماء أشبه بقطعة من المخمل. لكن جيمينا لم تعر أي منها اهتماماً.

كانت تبلي حسناً في الردّ عن أسئلته الفضولية حتى فاجأها بسؤاله الأخير.

هل اعتقد فعلاً أنه يستطيع تحطيمها ليبلغ أعمق أسرارها؟ هل اعتقد فعلاً أنه إن أمضيا سوياً بضع ساعات سيتسنى له معرفتها بحقّ؟.

أنا لست حرّاً، فقد منحت قلبي لامرأة لم ترغب فيه، لكنني سأرقص معك قليلاً حول النار، أيتها المسكينة الصغيرة! هل أخبر قصته هذه للنساء اللواتي عرفهن؟.

كانت تستشيط غيظاً، وتعبر عن سخطها بصوت عالٍ. وعندما تناهى إليها

www.elromancia.com

وقع أقدام تلحق بها على عجلة، استدارت غاضبة ووضعت يديها على خصرها.

صاحت بالمجهول الذي كان يتبعها: «أنت تثير اشمئزازي. أنت عار على البشر!».

ظنت جيمينا أنه سيتوقف مكانه أو سيصيح بها بدوره أو حتى يطلق إحدى ضحكاته المزعجة ثم يطلب منها أن تعيد حساباتها لكنه لم يفعل، ولم يصح بها، ولم يضحك، ولم يتوقف!

وفيما كان الظل يهرع نحوها، بدأ إحساس فظيع يتعاظم في نفسها فخمدت فجأة رغبتها في الصياح به.

نادت بتردد: «نايل!».

رأت جيمينا بقعة رمادية قاتمة تمشي خلفها بثبات وعزم، متجهة رأساً إلى هدفها، فشعرت بالخطر يحدق بها.

نادت ثانية فيما راحت ترجو أن ترى نايل أمامها تفصله عنها بضع خطوات: «نايل؟».

بادرها باسيل بلاين لاهثاً: «من هو نايل؟ حبيبك الجديد؟».

صرخت عالياً فأطلق باسيل ضحكة مدوية اقشعر لها بدنها.

سألته جيمينا مذعورة: «ماذا تفعل هنا؟».

ـ الطيف يلحق بصاحبه. لن أتخلى عنك يا صغيرتي. لقد اكتشفتك، وأنت ملك لي.

أخذ يدنو منها مزهواً بنفسه، فأحست جيمينا بالهلع القديم نفسه يتملكها، يضيق عليها الخناق.

أجابته بشجاعة: «أنا لا أدين لك بشيء».

ـ هذا ليس صحيحاً. يعلم كلانا أن هذا الكلام ليس بدقيق. عندما

قصدتني، كنت أشبه بحشرة نحيلة ترتدي ثياباً لا تليق بها.

احتجت جيمينا وقد غضبت من نفسها لأنها وقعت فريسة الخوف مجدداً: «أنا لم أقصدك بل أنت من أخذ يطاردني».

صحح الجملة: «قولي بالأحرى اكتشفتك».

ـ أنا لم أطلب من أحد أن يكتشفني. لقد رأيتني في مسرحية المدرسة ولم يهنأ لك عيش قبل أن تقنع والديّ بالسماح لي بالمشاركة في بعض جلسات التصوير.

ـ لكنك جنيت ثروة طائلة.

كان والدها قد صُرف لتوه من عمله، فراح يبحث عن آخر، لكن العائلة كانت تعلم أن أحداً لن يوظّفه لأنه لم يعد شاباً، فتراكمت الفواتير. عندئذٍ، بدأت ابنة السبعة عشرة ربيعاً تتقاضى المال عن كل جلسة تصوير تشارك فيها.

تابع بنبرة حادة: «كانت عائلتك تؤمن قوتها بفضلي».

ـ أعترف بأن الجميع كان ممتناً لك، إذ كسبت بعض المال...

تابع باسيل وهو يستشيط غضباً: «ما كانت أختك اللعينة لتنال الشهادة الجامعية لولاي. وقد باتت اليوم تعاملني بازدراء».

ـ لا يسعك لوم ايزي..

تابع من دون أن يكترث لها: «لكنك أسوأ منها بكثير، فقد قررت أن تتخلصي مني الآن وقد أصبحت نجمة مشهورة».

ـ أنت مخطىء!

عظيم، لقد عادت تقترف الأخطاء نفسها. تنكبّ فوراً على تبرير نفسها وتصرفاتها وكأنه معصوم عن الخطأ.

ـ لقد استغليتني. أتصورت أنه يسعك التخلي عني بسهولة؟.

ـ أنا لم أفعل.

لكنه لم يعرها اهتماماً، وتابع قائلاً: «لقد فعلت لكِ المستحيل، بكل ما في

www.elromancia.com

الكلمة من معنى».

تلألأت أنوار الحفلة من بعيد وتناهت إليها الموسيقى الشعبية. كانت بمفردها على الشاطىء مع رجل تكرهه.

رفع باسيل يده بحركة مفاجئة، فظنت جيمينا أنه سينقض عليها، لكنه أمسك بمعصمها. فما كان منها إلا أن حاولت جاهدة الإفلات من قبضته، لكن من دون جدوى.

بادرها بنبرة قاسية: «الحلقة المفرغة نفسها. باسيل الشرير يحاول أن يدير حياة جيمينا المسكينة».

بذلت جيمينا جهدها لتحافظ على هدوئها وطلبت منه بهدوء أن يدعها وشأنها. غير أن باسيل لم يعرها اهتماماً بل تابع: «ماذا عساي أفعل؟ إنه عملي».

- اتركني وشأني لنتحدث.

كرهت رنّة التوسل في صوتها، لكنها لم تره يوماً في هذه الحالة. حملق فيها غاضباً وإمارات الإحباط تلوح كسلاح فتاك أمام ناظريها. بدا واضحاً أنه فقد عقله.

- كنت عميلة أو زبونة تدفعين لي المال لأدير حياتها. لكن أختك اللعينة لم تكن مقتنعة، لطالما كرهتني.

رأت جيمينا رأسه يترنح من جهة إلى أخرى كأنه رأس أفعى، فشعرت فجأة بالذعر الشديد.

صاحت به وقد تخلت عن لهجتها الملاطفة: «توقف يا باسيل».

أرخى قبضته للحظة فسحبت يديها وأخذت تعدو. لكنها تعثرت بالرمال ووقعت على ركبتيها.

انقض باسيل عليها يحاول ضربها، فأحست جيمينا برداء ايللي يكاد

يتمزّق. اغرورقت عيناها بالدموع، وحاولت الدفاع عن نفسها هي التي لم تضرب أحداً في حياتها.

كان باسيل قد فقد رشده تماماً فصب جام غضبه عليها فيما راح يهمهم جملاً وعبارات مجنونة لم تفهم منها كلمة.

حاولت جيمينا طلب النجدة، لكنها ركّزت قوتها كلها في الدفاع عن نفسها حتى عجزت عن التنفس أو دفع أوتارها الصوتية لإطاعتها. كانت جيمينا تشهد أسوأ كابوس في حياتها.

- أنت لي، أيتها الساقطة الناكرة للجميل.. أنتِ لي، سألقنك درساً. أنت لي.

وفجأة تناهى إليها وقع أقدام تتوجه نحوهما. لم ينتبه باسيل لها بخلاف جيمينا، فاستجمعت هذه الأخيرة قواها لتبعده عنها.

سمعت أحدهم يناديها: «جاي، جاي؟».

صرخت جيمينا وهي تكاد تنفجر بالبكاء، لكن باسيل عاد لينقضّ عليها مزمجراً.

ثبت لها يديها فوق رأسها وارتمى بثقله على صدرها. فظنت جيمينا أنه سيخنقها.

صاحت به لاهثة: «ابتعد عني، أنت شرير، أكرهك».

تناهى إليها الصوت أقرب بكثير من ذي قبل، لكن باسيل لم يكن واعياً لما يحصل من حوله. ومالت جيمينا برأسها وصرخت ملء رئتيها، حتى شعرت بأضلعها تحترق: «من هنا، من هنا.. النجدة!».

لفح هواء البحر المنعش وجهها وملأ رئتيها، فأغمضت عينيها.

سمعت أصواتاً بشعة... ولم تستطع تبيان من يلكم من أو من يفوز في معمعة العراك الهمجي هذا. ورأت نايل ينقض على غريمه ليطرحه أرضاً بلكمة

وحشية ويثبته واضعاً ركبته على أسفل ظهره.

رفع نظره إلى جيمينا قائلاً: «أنتِ تتألمين».

كان صدره ينتفض لكنه بدا ممسكاً بزمام الأمور.

ـ كلا، أنا بخير.

تابع نايل وقد استعاد هدوءه بسرعة: «لا تبدين بخير، ماذا فعلت بك هذه الحثالة؟».

ـ لا شيء.

أجابها بفتور: «لقد رأيته».

أشاحت بوجهها عنه. كانت أنوار الحفلة تتلألأ من بعيد وتنعكس على السماء اللامتناهية. أخذت تطرف بعينيها، وكأنها لا تصدق ما تراه.

كان نايل لا يزال ينتظر رداً، فهمهمت أخيراً: «لا شيء مهم».

وتمنت ألا يسمع دموعها الغبية في رنة صوتها.

لم تكن تتحمل أن يظنها إحدى النساء العاطفيات اللواتي يحتجن دوماً إلى من يمد لهن يد العون.

بادرها بنبرة قاسية: «حقاً؟ لا أعتقد أننا نتشاطر وجهات النظر ذاتها. لقد وجدتك ملقاة على الأرض».

تحرك باسيل مهمهماً، فضربه نايل بركبته حتى همد.

ـ إنه لأمر معقد حقاً.

ـ معقّد؟ أهذا الرجل هو الذي أخبرتني أنه يسعك التعامل معه.

ـ هل كنت تسجل الحديث على شريط؟.

ـ أتمتع بذاكرة جيدة. . . .

أجابته هادئة: «تخولك احتساب أوراق اللعب، هل كنت تعدّ لي أخطائي أيضاً؟».

ـ عما تتحدثين بحق السماء؟.

بادرته بنبرة حادة: «لا داعي لأن تصرخ بوجهي».

أجابها بالنبرة ذاتها: «أنا لا أصرخ بوجهك».

أشاحت بوجهها عنه، إذ لم تكن دموع الخجل وحدها التي غشيت عينيها.

تابعت جيمينا بما يشبه الفحيح: «ثمة شخص آتٍ».

ـ جيد، لعلنا نحظى ببعض المنطق هنا.

ثم رفع نايل يده ليحيي الشخص القادم: «مرحباً آل، ما الذي أخرك؟».

كان آل يحمل مشعلاً، أضاء وجهه القلق ثم حمله عالياً ليلقي نظرة متفحصة على المكان.

ـ جاي جاي، أهذه أنتِ؟ هل أنت بخير؟.

راحت تومىء برأسها وقد أعياها التعب فجأة.

ـ لقد حالفنا الحظ فعلاً لرؤيتنا هذا الشاب يلحق بك، يا لحظك!.

أجابه نايل ساخراً: «لا تغرنك المظاهر».

سألهما آل: «هل يسعنا معالجة هذه المسألة في الداخل؟».

هزّ نايل كتفيه ثم أمسك بياقة باسيل ورفعه أمامه.

لحقت جيمينا بهم وقد تنبهت إلى أنّ القميص الذي استعارته من ايللي يتدلى من جهة واحدة. فأمسكت به بيد ترتجف وكأنها تستطيع تغيير الدقائق القليلة الماضية بقوة إرادتها.

ـ لقد أوشك هذا السفاح على إلحاق الأذى بجيمينا.

قال نايل هذا لآل بنبرة جافة فيما راح يدفع باسيل إلى ارتقاء السلالم الخشبية. بدا باسيل ممتقع اللون لكنه استجمع قواه ليجيب: «أنت لا تعلم عما تتحدث».

فما كان من نايل إلا أن رمقه بنظرة ازدراء قبل أن يجيبه: «اشرح لي

إذاً . . .».

أشار باسيل برأسه إلى جيمينا وقال: «فلتسألها هي».

ـ أنا أسألك أنت.

سأله باسيل بنبرة تنم عن ازدراء وغضب: «هل ألقت بشباكها عليك؟».

غاصت جيمينا في كرسي وقد أخرسها الذهول، فيما أحست بألم مبرح يحرق أضلعها.

شعرت بقشعريرة تسري في جسدها حين أخذ نسيم البحر يلفح كتفها العارية، فما كان من نايل إلا أن نفض سترته ولفها بها.

ـ شكراً لك.

تغضّنت عينا نايل حتى أمستا شقين أسودين ينضحان بغضاً وهما تحدقان إلى باسيل.

زمجر باسيل: «هي، وجه شركة بليندا، لقد حازت هذا العقد بفضلي وأنظر كيف تبادلني الجميل».

ـ أنا يا باسيل. . .

لكن نايل لم يعرها اهتمامه وقال: «أنا أنظر إلى ما فعلته أنت بها. لكم أرغب في إعادتك إلى الشاطىء وضربك!».

رمى باسيل نفسه على الكرسي بسرعة. فسارع آل إلى التدخل: «دعنا الآن يا نايل نعالج المسألة، لم تسمع بعد القصة كاملة».

استدار باسيل نحوه بحماسة: «أنت محق. لم تكن هذه الفتاة شيئاً قبل أن أكتشفها ولم أوفر جهداً لأصنع منها نجمة. تخليت عن عملائي من أجلها. فماذا بادلتني؟ ما إن وقعت عقداً مهماً حتى تخلصت مني».

أغمضت جيمينا عينيها فقد بدا كلامه عقلانياً.

ردّت: «هذا ليس صحيحاً».

كانت تعلم أنهم لن يصدقوا كلمة من كلامها فمن يستمع إلى باسيل، لا يصدقها أبداً.

فتحت عينيها وسعت في محاولة أخيرة منها إلى إخبارهم الحقيقة.

لم تعر آل اهتماماً وحدّقت إلى نايل مباشرة قائلة: «لم أتخلص منه. لم أكن لأتركه لو أنه لم. . .».

ـ لو لم تبدأ أختها بالعمل لدى قريبها الغني وتقرر أنني لم أعد أليق بأختها الصغيرة.

ابتلعت بريقها فقد بلغت الجزء الذي لم ترغب يوماً في التفكير فيه ملياً.

ـ لا علاقة لإيزي بقراري.

ـ بل كنت راضية سعيدة حتى تدخلت هي.

أطلقت جيمينا ضحكة ساخرة: «ولِمَ تدخلت برأيك؟».

فجأة، لم تعد تستطيع تحمل المزيد، فانتصبت واقفة وأردفت: «لأنك كنت تستنفدني، حتى آخر قطرة دم فيّ».

أجفل الرجلان حتى باسيل نفسه دهش متناسياً ادعاءه بالظلم. وتابعت جيمينا: «لا يسعك لوم إيزي، فلا علاقة لها بالموضوع. تقتصر المشكلة عليّ وعليك فقط».

ـ هذا جنون مطبق. كنا بخير، متفقين حتى. . .

ـ أنت كنت بخير، أنا لا. . . عندما رأت إيزي ماذا تفعل بي، قامت بما كان يجدر بي القيام به بنفسي. هذا كل شيء.

استدار نايل نحوها: «ماذا فعل بك؟».

كان الغضب يتطاير من عينيه. يا إلهي! ستضطر الآن للبوح بالحقيقة. وهذا أسوأ من أن يرى فيها طفلة مدللة. سيحتقرها فعلاً بعد أن يستمع إلى قصتها.

www.elromancia.com

أجابته وقد جبنت: «لقد طويت صفحة الماضي».

توجه نايل نحوها بخطى واسعة وقد تجهم وجهه وقال: «يبدو أن المشكلة لا تزال عالقة بينكما».

ثم لمس وجنتيها بعذوبة لا متناهية، وأضاف: «وجهك يتزف».

ـ تباً، ألا يكفي أن شعري متسخ بالرمال لأخلص أيضاً إلى جرح في وجهي.

سألها بنبرة باردة: «ستكونين دوماً جذابة.. نوريني ماذا فعل بك بالتحديد»؟.

ـ ماذا فعلت بك، ولم تكوني ترغبين فيه؟.

رماه نايل بنظرة فيها من الحقد ما زرع الخوف في نفس باسيل الذي ارتمى على كرسيه.

ـ لا تقاطع السيدة.

ـ كان باسيل يعطيني حبوباً تقطع الشهية بكميات وفيرة.

بادرها باسيل باحتقار: «أحقاً؟ هل أمسكت بك وأجبرتك على تناولها؟».

ـ كلا. إنما أقنعني بأنني سمينة بحيث أنّ أحداً لن يرغب في العمل معي. أخبرني أن الموضة تقتضي بأن تكون العارضة نحيفة جداً، فصدّقته. كنت أريد أن أنجز عملي على أكمل وجه، فاخترت الحبوب.

وعجزت عن توجيه نظرة واحدة يتيمة إلى نايل لكنها كانت تشعر بعينيه تتأملانها، وكأنهما مغناطيس يسحبها إلى حقله.

أصدر نايل صوتاً أبلغ من كلمات اللغة كلها: أهو ازدراء أم غضب؟ أم اشمئزاز؟

لم ترغب في معرفة رأيه لكنها تابعت تقول: «حبسني في غرفة في أحد فنادق

لندن حيث قبعت شبه مجنونة حتى اقتحمت شقيقتي إيزي المكان وأنقذتني».

خيّم صمت مطبق على المكان كسره بين الفينة والفينة النسيم الذي يداعب شجر النخيل وراحت جيمينا تحدق إلى الحديقة القاتمة والنجوم المتلألئة في السماء. لن تنسى أبداً هذه النجوم! هل يقارنها الآن بحبيبته؟ إنها مجرد بديلة زائفة جميلة، بديلة مؤقتة كما اعتادت أن تكون دوماً. رفعت كتفيها وباحت لهم بالجزء الأخير من روايتها المخزية.

ـ لقد أدخلتني عيادة خاصة حيث أمضيت شهراً كاملاً لأتخلص من المواد السامة. وعندما خرجت، أخبرت باسيل أنني لن أعود للعمل معه وأنه إذا ما رفض فسخ العقد فسأقاضيه في المحاكم لما فعله بي. لدي البراهين الطبية لأدعم قضيتي... لم أكن أرغب في العودة إلى ذاك الجحيم مهما كلف الأمر.

ـ لقد حوّلتك نجمة.

صاح باسيل بهذا متبجحاً، لكنه بدا سخيفاً. ولعله أدرك ذلك لأنه أطبق فمه من دون أن يأمره أحد بذلك.

ـ منذ ذلك الحين، أخذ يطاردني حتى كدت أفقد صوابي. كنت ألجأ للتخفي وأحرص دوماً على الحصول على السائق نفسه لئلا أجده في سيارتي... في الواقع، لن أعيد التجربة أبداً، فما من مهنة تستحق هذا العناء كله.

مرت بنايل من دون ترميه بنظرة. لم تكن تتحمل النظر إليه، فهي تعلم ما ستراه في عينيه.

نظرت إلى باسيل، وبادرته بهدوء تام: «إنها النهاية يا باسيل. إن اعترضتني يوماً فسأبلغ الشرطة».

ـ لن تجرؤي على ذلك.

استشفت جيمينا من الطريقة التي أشاح بها بنظره عنها أنه كان متأكداً من عزمها على التخلص منه نهائياً.

ـ قلت لك، ما من مهنة في الدنيا تستحق هذا العناء كله.

أحست جيمينا بألم يضيق عليها الخناق إلا أنها رفعت رأسها لتستدير نحو آل.

ـ لن أتقدم هذه المرة بشكوى ضده، فافعل ما تجده مناسباً.

ثم قالت لنايل بنبرة هادئة: «أتمنى ألا تكون قد تأذيت. أشكرك على المساعدة التي قدمتها لي هذا المساء. أعدك بألا أحتاجها ثانية».

وتوغّلت في عتمة الحديقة قبل أن تنهمر الدموع على وجنتيها.

استغرقت بعض الوقت لتجد شقتها لكن أحداً لم يكن ينتظرها عندما بلغتها، فارتمت على السرير وانفجرت بالبكاء. عندما جفت مقلتاها، نهضت لتغسل جفنيها المحمرين وشعرها. تناولت السترة المليئة بالرمل والتي تفوح منها رائحة البحر ممزوجة برائحته وتدثرت بها.

ستعود في الغد إلى ديارها وستخلف هذه السترة هنا مرفقة برسائل شكر. لكنها الليلة ستتنشق مع كل نفس تأخذه رائحة الأقاقيا والليالي الكاريبية والخشب المحروق. هذا كل ما سيتبقى لها منه!

٨ ــ فخ العسل

في الصباح التالي، استفاقت وقد عادت لطبيعتها. إنها عارضة الأزياء العالمية المشهورة، جيمينا دار! ما إن نهضت حتى اتصلت بعاملة الاستقبال لتطلب الفاتورة. وما إن بدأت شركة الطيران عملها حتى هاتفتها جيمينا. كان الموظف ودوداً إنما بارد بعض الشيء فأخبرها أنّ ما من رحلة إلى لندن اليوم واقترح عليها فرحاً تمضية عطلة الأسبوع في الجزيرة.

كانت جيمينا من الذكاء ما مكّنها من التنبه للمؤامرة التي حيكت ضدها. فبادرته بنبرة عذبة: «اسمعني جيداً، سأرحل عن هذه الجزيرة اليوم ولن أتورع عن طلب طائرة من فنزويلا إذا ما دعت الحاجة».

ـ تسافرين بالدرجة الأولى، أليس كذلك؟

ـ نعم.

ـ لقد أتممت الحجز. أرجو أن نراك ثانية.

تمنت لو تحذف اسم بانتكوست من لاوعيها، لكنها أجابته بنبرة لبقة: «شكراً لك».

كانت وجبة الفطور قد فاتتها، إلا أن إدارة فندق «القرصان» متسامحة في ما يختص بمواعيد الأكل.

كان المقصف مقفلاً إلا أن نادلة بشوشة ظهرت كما بسحر ساحر لتعرض عليها ما لذّ وطاب من الأطعمة.

أجابتها جيمينا: «القهوة من فضلك».

www.elromancia.com

سألها صوت مألوف: «مانغا؟ أناناس؟».

أحست جيمينا بجسمها يتصلب. اقترب منها نايل الذي لم يكلف نفسه عناء ارتداء قميص.

حيّته بصوت أبح: «صباح الخير».

رد التحية وسحب الكرسي المقابل لها.

توجه نايل إلى النادلة: «اجلبي من فضلك بعض الفاكهة».

جلس فيما كانت المرأة تبتعد عنهما وابتسامة متواطئة تنير محياها. لكن نايل لم يكن يبتسم بل راح يتفرس في وجهها لبعض الوقت قبل أن يسألها: «كيف حالك؟».

تباً له! كيف عساه يقلق عليها؟ وكأنه يكترث لأمرها؟

أجابته جيمينا تلقائياً: «بخير، شكراً لك. أشعر ببعض الرضوض فحسب».

لمس خدها كما فعل ليلة أمس فما كان منها إلا أن أشاحت بوجهها عنه وقد سرت قشعريرة في جسدها.

ـ الخدش في وجهي يبدو بشعاً، ولديّ جلسة تصوير مهمة الأسبوع المقبل.

كانت جيمينا ترمقه بنظرات تفضح أسفها لأنه وهب قلبه لامرأة واحدة ولم تكن هي هذه المرأة المحظوظة ولن تكون يوماً.

علّق نايل بصدق: «أنت تعملين في مجال خطر».

ـ أنت محق تماماً، لكنها مهنة تخولني السفر حول العالم وتؤمّن لي نمط حياة لم أكن لأحلم به.

وافقته الرأي بحرارة.

ـ وهل تكترثين لمثل هذه التفاصيل؟

أجابته بوقاحة: «إنها مهنة تبعدني عن المتاعب».

ـ جاي جاي..

ـ لا تنادني بهذا الاسم! اسمي جيمينا.

ـ حسن، إن كان هذا ما تريدين جيمينا.

كيف يعقل أن يكون لهذا الرجل غير الوسيم هذا الوقع المدمر في نفسها؟ ستتخطين هذه التجربة! لا بد لك من تخطي هذه التجربة!

عادت النادلة تحمل فطور نايل وقهوة عطرة لجيمينا.

ـ اتصل غوردي من مجلة «المسنجر»، إنه في طريقه إلى الفندق لمقابلتك.

ـ سيتعين عليه الإسراع. يجب أن أبلغ المطار عند الثانية.

بدت النادلة متعجبة: «لا داعي للعجلة في البانتكوست».

كيف تراها فقدت قلبها في أربع وعشرين ساعة؟ حتى قبل أن تمر أربع وعشرين ساعة. بين اللحظة التي غفوت فيها بين ذراعيه واللحظة التي استفقت فيها على رائحة القهوة. بين اللحظة التي أمسك فيها يدي واللحظة التي بلغت فيها المركب، مركبنا بالفعل. كانت اللحظة الأولى تمثل عالمي وعالمه فيما أصبحت اللحظة الثانية عالمنا معاً. وها هي هائمة في حبه!

اقشعر بدن جيمينا للفكرة هذه. يا إلهي، حبه يسري في عروقها!

بدا نايل بلاكثورن جذاباً وقلقاً حتى، لكنه لم يبدُ أبداً كرجل مغرم لأنه ليس كذلك.

لا بد لها من تغيير موقفها قبل أن تنهار أمامه وترجوه، فانتشلت نفسها من أحلام اليقظة وسمعته يقول: «إن انطلق الآن فسيصل إلى «كوينز تاون» قبل أن تبرد القهوة».

ـ حسن، لكنه لن يحصل مني إلا على صورة.

ـ أستطيع أن أخلصك منه إن شئت.

أحست جيمينا للحظة أنها محبوبة، فاستمتعت بها.

ـ هذا جزء من مقتضيات وظيفتي. إن كان جمهوري يرغب في صورة، فسيحصل على واحدة. هذا جزء من الاتفاق.

ـ ألا تتمتعين بحياة خاصة؟

وراحت عيناه تبحثان عن الجواب اليقين.

ـ كلا، ما دمت أتربع على عرش الشهرة.

سألها وقد مال بجسمه إلى الأمام: «هل تفعلين؟ أعني هل تتربعين على عرش الشهرة؟».

ما كان منها إلا أن أشاحت بوجهها عنه، وردّت: «الشهرة لا تدوم لأحد. تبقى لي عام أو اثنين قبل أن تبحث الشركة عن وجه جديد. سأكون محظوظة إن حظيت بجلسة تصوير واحدة بعدئذ. هناك مئات النساء اللواتي كن في الماضي عارضات أزياء مشهورات».

سألها ممازحاً: «هذا مصيرك بالضبط».

ـ نوعاً ما.

اقترح عليها: «عيشي حياتك يوماً بيوم».

ما كان من جيمينا إلا أن شعرت بألم يعتمل في صدرها.

سألها بعينين جديتين: «ألن تقبلي إذاً بانتظار رجل تمضين معه حياتك؟».

عمّ يتحدث؟ لم يكن يريدها أن تنتظره، لم يكن يرغب فيها أبداً. وإن رغب فيها، فلن تنتظره أبداً.

أجابته بصوت أجش: «مستحيل».

غرق نايل في صمته.

ـ استفيدي من الفرصة طالما هي سانحة. فكل شيء فانٍ، هذا شعاري.

سألها وقد تجهم وجهه: «أتعنين ذلك حقاً؟».

أجابته وقد راح الألم يمتد إلى جسدها كلها: «انظر إلى أحداث الأمس».

التوى فم نايل وقال بابتسامة متكلفة أخفت الكثير خلفها: «هذا مدهش بحق».

ما كان من جيمينا إلا أن أطلقت تنهيدة عميقة. وأحست فجأة بأنها لم تعد قادرة على التحمل، فهرعت إلى غرفتها. شعور بغيض مروّع اكتسح قلبها، فأكبت توضب أمتعتها بيدين مرتعشتين.

حين أمسكت بثوب السباحة الذي اشتراه لها، أحست بقلبها يكاد يتوقف، فرمت به في سلة المهملات. أغلقت حقيبة السفر التي بدت صغيرة جداً. أمتعة بسيطة، وقت قصير... ومع هذا، انقلب عالمها كله رأساً على عقب. لكنها راحت تعزّي نفسها: ألم تتخلص من باسيل للأبد؟ هل انفطر قلبها؟ ربما، لكنها لم تعد خائفة وسرعان ما سنحت لها الفرصة لتثبت لنفسها هذا التغيير الذي أصابها. فعندما قصدت الردهة لتسدّد فاتورتها، وجدت نايل يتحدث إلى آل وقد أدار لها ظهره. وقفت بعيداً عنهما تستجمع قواها.

قال آل: «.. فرصة ثانية».

بدا نايل نافد الصبر: «ليس هذه المرة».

ـ أصبر، لعل حبيبتك تصبح يوماً لك.

كان يقصد بكلامه تلك المرأة، تلك التي رغبت في تربية القطط والكلاب والأحصنة وفطرت قلبه! وراحت تذكر نفسها بأنّ لا علاقة لها بهذه المشكلة.

لقد اختار نايل بلاكثورن طريقه ولم يدخلها في حساباته.

لم يكن في يدها حيلة. في نهاية المطاف، لا يسعها أن تطلب منه ألا يبكي على الأطلال ليختارها هي، أليس كذلك؟ لن تطلب ذلك من رجل منح قلبه لامرأة واحدة وحمل شعلة حبه اليائس لسنوات طويلة. لم تكن تريده أن يحدّ من خسارته ولم تشأ أن تحل في المرتبة الثانية. جلّ ما أرادته هو أن يعي هذا العاشق أنه يسعه التعرف على امرأة أخرى فيعيشان معاً قصة حب عظيمة.

أرادته أن يقع في حبها هي.

يا لحظها العاثر هو لا يرى فيها الآن غير حثالة وصولية تسعى وراء المال!

حسناً، كلما أسرعت في الخروج من هذه المعمعة، كلما كان ذلك أفضل.

توجهت إليهما مرفوعة الرأس: «مرحباً».

استدار نحوها. أنارت محيّا آل ابتسامة في حين بدا وجه نايل مكفهراً.

ـ أريد الحساب من فضلك. هل يسعني أن أطلب سيارة أجرة لتقلني إلى المطار؟

أجابها نايل المتجهم والعاري الصدر: «سأقلك بنفسي»

أجابته بنبرة حادة: «لا أرغب في إزعاجك».

ـ هذا ليس بالأمر السهل، فأنت تزعجينني فعلاً. لم تألي جهداً لتزعجيني منذ أن وطأت قدماك هذه الجزيرة من دون أن يرف لك جفن.

راح آل ينظر إليهما وقد شلت الدهشة حركته.

استشاطت جيمينا غيظاً، وردّت: «هذا سبب إضافي لئلا يرى أحدنا الآخر».

أصر نايل: «قلت لك سأقلك».

راح شرر الغضب يتطاير من عينيها: «لن أذهب معك».

ـ أحقاً؟.

تدخّل آل قائلاً: «إن سيارات الأجرة محجوزة إنما يسعك العودة مع غوردي إلى البلدة إن كنت لا تتحملين رفقة نايل».

أجابها نايل بوحشية: «إنها فكرة سديدة. استفيدي من بعض الدعاية طالما الفرصة متاحة أمامك».

ـ أنا لا أحتاج إلى دعاية. لما برأيك سيأتي إلى هنا أصلاً؟

ما كان منه إلا أن أطلق ضحكة مدوية تنم عن هذا الغضب الذي يضيق به

صدره. إلا أن جيمينا كانت مخطئة تماماً فلم يعرها هذا المحرر أي اهتمام عندما وصل إلى الفندق. مرّ بها وبآل ليتوجه رأساً إلى نايل قائلاً: «سعيد برؤيتك يا نايل».

ـ مرحباً غوردي، لقد رأيتني ليلة أمس.

ـ وصلتني هذا الصباح رسالة الكترونية تفيد أنك أصبحت دوق باوري وأطالبك الآن بمكافأتي.

سمعته جيمينا يزمجر.

صدمة؟ غضب؟ رعب؟ وتكشّفت الحقيقة كلها. إنه ينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية. كان يجدر بها معرفة هذه الحقيقة بنفسها عندما أخبرها أنه الابن الذي حرمه والده من الميراث. أهذا لم يلق اللوم على حبيبته المثالية عندما أعطته لائحة بالأمور الأساسية التي لا تستغني عنها؟

أجالت النظر في الردهة وخامرها أغرب شعور على الإطلاق وكأن مجرة عظيمة تفصل بينهما، لا بل عالم. أحست جيمينا أنه بعيد ولن يسمعها إن نادته مع أنه لم يبارح مكانه. تراجعت بضع خطوات لكنّ أحداً لم يعرها اهتماماً حتى انسحبت بأقصى سرعة. كان النقاش قد احتدم بين غوردي ونايل فيما وقف آل حكماً بينهما.

انتهزت هذه الفرصة المثالية وغادرت الردهة.

وجدت ايللي في المطبخ.

ـ أحتاج إلى الخروج من هنا. لقد حافظت على ماء الوجه حتى بدأت تعوزني الكياسة. أنقذيني.

ـ أهو نايل؟.

أومأت جيمينا برأسها.

طغى التضامن الأنثوي على الموقف، فأخذت ايللي بطاقة الاعتماد وبدأت

www.elromancia.com

تحضر الفاتورة التي لم يتسنّ لآل تحضيرها، ثم سلمت زمام الأمور إلى مساعدتها وأخرجت سيارة العائلة لتوصل جيمينا إلى المطار.

ـ ماذا عساي أجيبه إن سألني عن رقم هاتفك أو عنوانك؟.

ـ لن يسألك. وإن فعل؟.

لم تترك رحلة العودة أثراً في ذاكرة جيمينا. وخشيت أن ينجح أحد المصورين في التقاط صورة لها بشعرها غير المرتب وخدها المتورم وعينها المحمرة إلا أن أحداً لم يتعرف عليها.

توجهت رأساً إلى شقتها، وسرت هذه المرة عندما لم تجد فيها بيبر أو إيزي.

لكن الحظ العاثر ما انفك يطاردها فما إن شاهد المسؤول في وكالة عرض الأزياء خدها المتورم حتى ذعر.

بادرته جيمينا بملل: «عش حياتك».

قصدت خبير التجميل ليخفي ما تبقى من الإصابة. وحين توجهت إلى جلسة التصوير، وجدت أن المصور اعتبر هذه المهمة تحدياً.

عاودت السيدة الاتصال بها، فقصدت جيمينا مركز بليندا بعقلية مختلفة تماماً. دخلت المكتب الفخم وبادرت السيدة التي لم تكن قد قطعت بعد نصف الغرفة لملاقاتها: «فلنكشف أوراقنا. سأمثل شركة بليندا في الحفلات والأمسيات والمقابلات، لكني لن أواعد أحداً لمجرد أنك تعتبرينه مفيداً لسيرتي المهنية. يسعنا ببساطة تمزيق العقد».

علا حاجبا السيدة السوداوان الرفيعان استغراباً واكتفت بالقول: «ممتاز».

ثم أكبت تصمم حملة جديدة وتحضر لها.

* * *

لم يعد نايل إلى لندن إلاّ في شهر حزيران. توجه إلى الباحة الرئيسية للمحطة

الرابعة حاملاً الكيس الخاص بالبذة على كتفه، فيما وضع ممتلكاته الأخرى في حقيبة رياضية.

لم تكن رحلته مريحة. لم يغلب التعب نايل لكنه لم يجد أحداً بانتظاره في المطار.

كان ليرمي حقائبه أرضاً ويفتح ذراعيه ليلفها بهما ويعانقها بشغف لو أنها قدمت لاستقباله.

ابتلع نايل بريقه وقد شعر فجأة بالحر. لعل هذه الرحلة المقيتة أثرت فيه أكثر مما تصوّر.

إنه محظوظ لأنه وحيد، فمن وحدته يستمد صلابته وقوة إرادته.

لم يكن من الجدي البحث عن جيمينا سيما وأنها تجهل أنه سيعود إلى لندن. لم يجد نايل أحداً ولا حتى المحامي الذي راح يراسله بيأس متعاظم، فلا أحد يعلم أنه سيعود إلى دياره على متن هذه الطائرة كما أنها ما كانت لتستقبله وإن علمت بموعد وصوله.

بطبيعة الحال، لم يستحسن إهمالها له. وهو نايل بلاكثورن الذي أبى أن يطارد امرأة في حياته، شن حملة ضخمة فراح يتصل بها ويبعث إليها بالرسائل الإلكترونية والأزهار. حتى أنه أرسل إليها تمرة مانغا.

لكن جيمينا لم تحرك ساكناً ولم ترد عليه مرة وكأنها تبخرت عن وجه الأرض. إلاّ أنّ الشائعات التي طالت جيمينا دار كثرت في الآونة الأخيرة.

مكّنته شبكة الانترنت من مواكبة نشاطاتها كلها. لقد واعدت أحد المصورين... جيمينا دار تصرف الليل بطوله تتهادى في مؤسسة خيرية.

رأى سائقاً يقف بمحاذاة السور ويحمل بطاقة كبيرة دون عليها «المسافر بلاكثورن».

تسمّر نايل في مكانه. لم يكن أحد يعلم أنه قادم. توجه إلى السائق قائلاً:

www.elromancia.com

«بلاكثورن».

ـ صباح الخير سمو الدوق. أهلاً بك في ديارك. سيارة الليموزين تنتظر في الخارج. أتسمح لي بحمل أمتعتك؟.

لن تعود حياته ملكاً له أبداً. وجد نايل حشداً كبيراً ينتظره ليرحب به كما يليق بسموه.

في فندق سان جايمس الفخم حيث حجز له محاميه غرفة، حيّاه موظف مكتب الاستقبال وهنأه على اللقب وسأله عن تحقيقات الصحافة.

سأله نايل والذهول بادٍ على محياه: «تحقيقات؟».

ـ لقد تلقينا اتصالات هاتفية من أناس يستفسرون عما إذا كنت ستمكث هنا؟

ـ صحفيون؟.

ـ لا يعرّف هؤلاء الناس عن أنفسهم. لقد تعلمنا أن نستشف هويتهم سموك.

ـ كلما ناداني أحد بسموك أنظر خلفي متوقعاً رؤية والدي.

أجابه كبير الخدم، وقد قوم كتفيه: «في هذه الحالة سيدي، سنناديك بما تريده».

سأله نايل فرحاً: «ما رأيك بأن تنادونني بالسيد بلاكثورن؟».

ـ سأخبر الموظفين.

صاح دوم، وقد لمح نايل ينزل السلالم الرئيسة: «ها هو».

وبادرهم دوم عندما اعترض أحد البوابين طريقه: «إنه ابن عمي بحق السماء، لقد دعاني بنفسه».

قال نايل متجهم الوجه: «هذا صديقي يا جيفز».

ثم وجه حديثه لدوم: «ليس لديك أدنى فكرة كم هو مريح التحدث إلى

شخص لا يرى ضرورة للخروج والاحتفال كل ليلة».

علا حاجبا دوم استهجاناً، فيما أردف نايل: «أعتقد أني أكره أبي. لم أفكر فيه طوال السنين المنصرمة. لكنني أدركت ذلك عندما لمست ما آلت إليه الملكية بسبب أبي وأخي ديريك. إنهما بالفعل تافهان، غبيان وماكران».

استحوذت الدهشة على دوم وبدت واضحة على محياه.

ـ بالفعل، لقد منعني والدي من الالتحاق بالكلية لدراسة الرياضيات، لينغص عليّ حياتي، في حين فرح ديريك لأنه خال أنني سأصير نسخة عنه. لم يتم إصلاح أي شيء في الملكية، لأن ديريك أنفق مبالغ طائلة على سباق السيارات. سأضطر إلى تقويم بعض الأمور هنا.

سأله دوم: «هل ستقوم فعلاً بذلك؟».

ـ نعم.

ـ تحتاج إلى زوجة لطيفة تؤازرك. اختر لنفسك زوجة تجيد الاعتناء بالمنزل، فيهنأ لك العيش.

علت ثغره ابتسامة مشرقة، لكنه كان حاسماً في إجابته: «لا أظن ذلك».

أدرك دوم المرح أنه سيخوض موضوعاً شائكاً.

ـ آسف. أهي حبيبة جديدة تلوح في الأفق؟.

هز نايل كتفيه غير مبالٍ: «ربما».

ـ بربك يا آل، حدد موقفك: نعم أم لا.

أقرّ له نايل: «نعم. لكنها ترفض التحدث إليّ».

ـ عظيم، اخطفها عند منتصف الليل.

تلألأت عينا نايل حماسة: «أنت لا تتغير أبداً، بربك فلتنضج».

ردّ دوم بالنبرة المستسلمة نفسها: «هذا عظيم، يدهشني ما أسمع من رجل صرف خمسة عشر سنة يتنقل من كازينو إلى آخر. هيا أريد أن أساعدك. من

هي؟».

إلا أن نايل راح يومىء برأسه وقد أبى أن يفضي له بأكثر من ذلك.

أسرّ دوم لحبيبته فيما كانا جالسين تلك الليلة على الأريكة، يشاهدان فيلماً مسجلاً:

ـ إنه قريبي. إنه يعيش في أحد الفنادق تحت اسم مستعار. هل نحضّر حفلة على شرفه؟.

ـ بالطبع، قريبك هو قريبي.

سألها دوم وهو يضمها إلى صدره: «هل أخبرتك يوماً أنك امرأة رائعة؟».

وعدته إيزي ضاحكة: «سنساعده على نسيان تلك المرأة».

وجد نايل نفسه مدعواً إلى حفلة ليتعرف إلى قريبته العتيدة.

ـ أنا نايل، صديق دوم.

بادرته الحسناء الصهباء التي فتحت له الباب: «عظيم، لقد وصلت».

ـ في الواقع، كانت تعليمات دوم مبهمة بعض الشيء. ولندن لم تتغير كثيراً منذ...

تجمد الدم في عروقه، وفغر فاه تعجباً.

بادره دوم وهو يتبع نظره: «يخيل إليك أنك شاهدتها من قبل. نايل، إيزي، نايل».

حيّاها نايل متردداً: «مرحباً».

ـ إنها القصة نفسها تتكرر. يخيل إليك أنك قابلتها من قبل، لكنك في الواقع شاهدت شقيقتها، عارضة أزياء، فصورها تنتشر في كل مكان.

أجابه نايل وقد استفاق من الصدمة: «معرفتي بجيمينا أعمق وأهم من الصور».

ما إن تفوه بهذه الكلمات حتى تفاجأ بجيمينا تخرج من المطبخ. أما هي

فتسمرت في مكانها، وقد تملكتها الدهشة.

سألتها أختها بنبرة تنم عن حيرة وارتباك وهلع: «جاي جاي؟ جاي، جاي، هل أنت بخير».

لم يستطع نايل رفع ناظريه عنها. كان شعرها ينسدل على كتفيها شلالات رائعة حريرية، خصل نارية استحوذت على قلبه وتفكيره، وعلى أحلامٍ كان يستفيق منها والعرق يتصبب منه.

لم تبد جيمينا بهذه البشرة الشاحبة المكشوفة ضعيفة، بل زادتها جمالاً وسحراً.

سألها بنبرة باردة: «مرحباً جيمينا، أتذكرينني؟».

ـ الدوق. كيف عساي أنساك؟.

نظرت إليه تينك العينان شذراً. زجر دوم، ودهشت إيزي، فيما وضعت جيمينا الصينية بحذر..

علت ثغرها ابتسامة بغيضة: «لا أدري لماذا أخفى عني أنه دوق».

ـ لأنني لم أكن قد أصبحت دوقاً خلال تلك الفترة، كما كنت مرتبطاً بوظيفة تعين علي إنهاؤها قبل أن أسرع إلى حياة جديدة.

ـ وظيفة؟ المقامرة وظيفة؟.

أطلقت جيمينا ضحكة، وقطبت حاجبيها. والتقت عيونهما بنظرة تفضح الغضب الذي يملأ صدرها.

استفاق دوم وإيزي من صدمتهما. وقال دوم وقد أمسك بنايل يحثه على التقدّم نحو غرفة أخرى: «هيا بنا، لعلك تتذكر صديق الدراسة فيليب. لقد عاد لتوه من الصين»..

ـ لم أجد أي وعاء أضع فيه الفستق، هل يسعك مساعدتي يا جاي، جاي؟.

www.elromancia.com

أبعداهما عن بعضهما البعض، كأنهما طفلان يتصارعان في ملعب المدرسة.

كان نايل يفكر في يأسه باستخدام نفوذه كدوق ليتدبر لقاءاً مع جيمينا، لكن حين قُدّمت له الفرصة على طبق من ذهب، وجدها تكرهه.

تفاديا بعضهما البعض كأنهما ألدّ الأعداء. وعندما أخذ المدعوون بالانصراف، حاصرها في المدخل الضيق: «جاي، جاي..».

صاحت به: «إياك أن تناديني بهذا الاسم ثانية، ماذا تفعل هنا؟».

ـ انتقلت للعيش في بريطانيا.

ـ يا لبريطانيا المحظوظة! لا أكترث لمكان إقامتك. أسألك عما جئت تفعل في بيتي.

ـ ظننت أنه منزل إيزي.

رآها تجفل لهنيهة، ثم تستعيد هدوءها بلمح البصر.

ـ أنت قريب دوم البائس. أتساءل عما حلّ بذلك الرجل الغامض. يخيل إلي أنك دوق محبط يفتقر إلى سكن محدد، أليس كذلك؟.

لاحظ نايل أنها تسعى جهدها لتبدو كريهة إلى حد بعيد.

ـ لديّ مساكن كثيرة، أملك قصراً متداعياً في سكوتلندا، وبضعة عقود إيجار لشقق عديدة، اتخذها والدي وأخي لأغراض مريبة في نفسيهما.

ـ وتعيش في فندق؟.

ـ أحضّر للخطوات التالية، هل من أهمية كبيرة لمكان سكني؟

احمرت وجنتاها غضباً: «لا أكترث البتة لمحل إقامتك ما دمت لا تنغص علي حياتي».

ـ أنغص حياتك؟ لقد فقدت رشدك.

لم يكن يقل عنها انفعالاً.

ـ أحقاً؟ أتتوقع أن أصدق أنك قدمت إلى هنا لأن دوم أشفق عليك فحسب؟.

ـ لماذا لا تصدقين؟ هل كذبت عليك يوماً؟.

نظر إلى عينيها مباشرة.

ـ ليس بالفعل، إلا أنك لم تخبرني أنك دوق، أليس كذلك؟.

كان نايل غاضباً منها، لكنه تمنى في الوقت نفسه لو يسعه معانقتها حتى تتوقف عن مهاجمته وتستمع للحقيقة.

قال بكل ما أوتي من هدوء أعصاب: «أنت نفسك لم تخبريني أنك تهربين من رجل مزعج، وهذا يجعلنا متساويين، أليس كذلك؟».

لكن النبرة الهادئة أججت النار المستعرة في داخلها.

تابع بهدوء: «ألم تخبري أقرباءك؟ لا أحد؟ ولا حتى شقيقتك؟».

هزت كتفيها استخفافاً من دون أن تنبس ببنت شفة. إلا أن أنفاسها راحت تتسارع، ومع تسارع دقات قلبها أرادته أن يظن أنها غاضبة، لكن المسألة أعمق بكثير. لكم رغبت أن يحملها بين ذراعيه و....

تمالك نايل أعصابه. الصبر يا نايل، الصبر يا نايل!

سألها بهدوء وقد خمدت النار المستعرة في نفسه: «هل أخبرتهم الآن؟».

ـ بماذا عساي أخبرهم؟.

أشاحت بنظرها عنه.

ـ إذاً، أنا الوحيد الذي يعرف أن باسيل لحق بك إلى النصف الثاني من الكرة الأرضية.

سألته بنبرة حادة، كأنها تستعد لهجوم آخر: «لمَ تشغل بالك؟».

أجابها بهدوء: «أنت تثيرين اهتمامي. لأنك كنت لي ليوم كامل، وستكونين لي دوماً».

فقد أخيراً هدوءه، فجذبها إليه وعانقها عناقاً قاسياً يائساً.

عندما ابتعد عنها، كانت حدقتاها واسعتين وجسمها كله يرتعش.

ـ أنا آسف. لم يكن يحق لي القدوم إلى هنا ولن أعيد الكرة.

سرت قشعريرة في جسده كلها نفذت إلى أعماق أعماقه.

تدبرت جيمينا أمورها بشكل ممتاز حتى في زفاف بيير الذي مضى من دون أي مفاجأة غير سارة.

بدت بيير متوترة وكانت قد رفضت ارتداء ثوب أبيض ناصع.

علقت: «لا أريد أن أتألق، أريد فحسب أن أبدو نظيفة ومرتبة».

لكن الأختين نجحتا في إقناعها أخيراً. وفجأة تنبهت إيزي إلى أن جيمينا ستذهب إلى السهرة بمفردها.

ـ هل ترغبين في دعوة أحد؟ هذا المصور الجديد مثلاً؟.

ـ كلا شكراً.

راحت إيزي تتفرس في وجه أختها التي بدت فجأة جدية جداً.

ـ هل أنت متأكدة؟ لعلك محبطة لرؤيتنا، أنا وبيير، نحاول تأسيس بيت وعائلة.

ـ أستطيع تدبر أموري من دون أن تسهري على حمايتي ورعايتي.

ـ أنا لا أقصد ذلك. عندما حاول باسيل تنغيص حياتك، شعرت بأنك تغلبت على الأزمة بشكل ممتاز لكنني لاحظت أنك أصبحت حذرة تدرسين كل خطوة تقدمين عليها. أما الآن، فأراك مرتاحة مطمئنة البال بطريقة ما.

ـ بالفعل.

ـ لكنك لا ترغبين في دعوة المصور إلى الزفاف. هل تخافين أن يتضح لك أنه نسخة عن باسيل؟.

وضعت جيمينا يديها على الطاولة وانتصبت واقفة. كانتا جالستين في

المطبخ حيث تكومت الأوراق.

ـ اسمعيني، لا آبه لأمر باسيل ولا أخشى الرجال بل التمثيل والتكلف.

ـ أنت مغرمة أليس كذلك؟.

عقدت جيمينا حاجبيها وقد أخذت منها الدهشة كل مأخذ.

راحت إيزي تومىء برأسها بحماسة وقد أنارت وجهها ابتسامة.

ـ في الواقع لست مغرمة. ولا أرغب في الذهاب مع رجل كتمويه. إن وقعت في حب رجل ما يبادلني الشعور نفسه، فسأفتخر به وأصطحبه معي إلى حفل الزفاف ولكنني لست مغرمة بأحد وأنا لا أخجل من الذهاب بمفردي. فالحب أهم وأسمى من أن نتلاعب به.

ـ لكم تبدلت! متى تعلمت الحديث عن الحب؟

سألتها إيزي مترددة.

ـ عندما قابلت رجلاً منح قلبه لامرأة واحدة.

هزت ايزي كتفيها استهجاناً متمتمة: «لعلك تعرفت على أحدهم».

ـ لعلي أتيت إلى هذه الدنيا لأبقى وحيدة. على كل حال، لن تقضي علي هذه الوحدة.

كان يوم زفاف بيير صافياً.

تدبرت جيمينا أمرها خلال الحفلة بشكل جيد واغرورقت عيناها بالدموع عندما تعهدت بيير بمشاركة زوجها بالسراء والضراء. وأخذ لها المصور صوراً رائعة مع الوصيفة والعروس بفستانيهما العسلي والذهبي.

كانت تبلي حسناً، ثم...

تفاجأت بعض الشيء عندما أرادت بيير أن تدعو آبي فقد عملت هذه المرأة لحساب شركة «الحياة العصرية» لكنها بالكاد تجمع بينهما صداقة. في الواقع كانت آبي أقرب إلى جيمينا منها إلى بيير.

كان ستيفن قد أعد لائحة كبيرة بالمدعوين شملت الأقارب والأصدقاء القدامى فأرادت بيبر أن تملأ القسم المخصص لها من الكنيسة بالمدعوين، فدعت آبي، أخت زوج إيزي.

حضرت آبي متأبطة ذراع زوجها الأنيق والوسيم فيما رافقتهما مفاجأة مميزة.

لم تكن جيمينا لتعيرها انتباهاً لو لم.. لو لم... خلفت جيمينا المصورين الهواة في الحديقة لتعود أدراجها إلى الحفلة حيث الفرح...

وجدت نايل بلاكثورن في بزة رمادية وربطة عنق لؤلؤية اللون يتجاذب أطراف الحديث مع إيزي وابيجيل.

«حبيبتي أبيجيل»...

همس في أذنها شبح قاس بهذه الكلمات فتذكرت فوراً أين سمعت بجزيرة بتكوست للمرة الأولى.

أحست جيمينا بقشعريرة تسري في جسدها، وكأن أحدهم سكب مكعبات ثلج في ثوبها الحريري الذهبي.

لماذا لم تتذكر؟ لماذا؟ لقد توفر لديها ما يكفي من خيوط تقودها إلى الحقيقة، حتى أنها سألت آبي إن كان على زوجها أن يقلق...

غبية، كنت غبية بحق! لكني لست الوحيدة، تنبهت جيمينا.

لم تضف آبي كلمة واحدة هي التي تعيش قصة حب رائعة في كنف زواج رائع.

لكنها المرأة التي تستحوذ على قلبه، على أحلامه، وحياته. إنها حبيبته المثالية.

لا بدّ أن نايل بات واثقاً الآن من أن آبي أصبحت ملكاً لرجل آخر، رجلاً تهيم في حبه، يملأ عليها حياتها. إنه يتألم لا محالة، هذا ما خطر لجيمينا،

فأحست بالغثيان وكأن هذا الألم يعتصر صدرها هي.

تباً لبيبر، وتباً لأبيجيل، فحبيبي قد انفطر قلبه للتو.

لكن التفاصيل غير مهمة. الآن فالأهم هو أن يجد نايل من يؤازره في محنته، من يعتني به. لقد فقد المرأة الوحيدة التي هتف لها قلبه، ولن يضطر لاختبار هذا الألم بمفرده أمام حشد من الغرباء الفضوليين، بل إلى جانب صديق خبر عذاب الحب مثله تماماً. وأخيراً، خضعت للأمر الواقع، فانتصبت واقفة وقطعت الحديقة العطرة وقلبها يرقص أمامها.

«لقد وهبت قلبي لامرأة واحدة». تباً له! إنه نايل بلاكثورن.

وتذكرت أن نايل كان يرسل إليها رسائل بقيت كلها من دون جواب حتى أنه بعث لها يوماً بحبة مانغا. بكت حين رأتها إذ عادت ذكريات هذا اليوم السحري لتعذبها.

ولِمَ عساها تبكي إن لم تكن تحبه؟ وفجأة تجلت لها الحقيقة. لِمَ يبعث لها بالفاكهة إن لم يكن يحبها ولَو قليلاً؟ لعلني لست امرأة أحلامه لكنه أحبني بعض الشيء. راحت جيمينا تحدق إلى عنقه وابتلعت بريقها. كانت على وشك اختبار أهم تجربة في حياتها، لكن ما بيدها حيلة.

فما كان منها إلا أن أخذت نفساً عميقاً وقومت كتفيها ثم وقفت إلى جانبه.

دسّت يدها في يده كما فعلت على الشاطىء منذ بضعة أشهر خلت: «نايل، لم أكن أعرف أنك قادم».

نظر إليها وقد تملّكته الدهشة.

لاحظت جيمينا أنه فقد بعض الوزن إذ بدا أطول وأنحف وأكثر جاذبية من ذي قبل لكنه لا يزال غاضباً. كانت مشتاقة لضحكته، لذلك الشاب الذي حضر إلى شقتها وأبدى اهتمامه بها قبل أن تقطعه إرباً بلسانها الجارح. إن عاملها بجفاء، فالذنب ذنبها.

فقدت جيمينا أعصابها لبرهة، لكن أحداً لم يلحظ ذلك.

تابعت بنبرة لطيفة حارة بما يكفي لتشعل ناراً للشواء: «سررت برؤيتك».

ارتفع حاجبا نايل استغراباً.

حيّاها بحذر: «جيمينا».

رمته بابتسامة مشرقة حملت إليه كل الدعم والحب اللذين يحتاجهما.

ـ ناديني بجاي جاي، كيف حالك؟.

لم يكن ينظر إلى آبي. كم يتعذب! أحس بالطبع بشيء تجاه جيمينا لكنها لا تزال حبيبته المثالية.

أريد أن أبرهن له أن البديل متوفر دوماً، أن المرء منا يقع في الغرام مرة ثانية. لن يتناسى أذيتها له في الحال، لكن الأيام ستبرهن له أنه هو أيضاً يكن لها الحب.

أحست بأن قلبها ينفطر لألمه.

أجابها نايل والدهشة بادية على محياه: «بخير، شكراً لك».

ـ هذا مشوّق بحق! إنه بطل يا جاي جاي فقد كان يلقي القبض على المجرمين.

ـ ماذا؟.

كان هذا آخر ما توقعته. بدا نايل منزعجاً.

ـ لا يعود الفضل لي وحدي، يا آبي.

أحست جيمينا بأن اسم الدلال هذا طعنها في قلبها على حين غرة، لكنهما لم يلاحظا ألمها. هذا ميؤوس منه. كانت آبي تسكن كيانه وقلبه بحيث لن تستطيع يوماً أن تنسيه إياها.

سحبت يدها أو على الأقل حاولت أن تسحب يدها لكنه أحكم قبضته عليها بحيث عجزت عن الحراك.

أدارت رأسها متفاجئة ولاحظت أن الغموض يتبدد. كانت عيناه ترقصان فرحاً. من الواضح أن المتبطل الجذاب لا يزال حياً تحت ثيابه الأنيقة. أحست بالدم يعلو إلى وجنتيها المخمليتين.

ثرثرت آبي: «كان يتعقب مبيض أموال».

جاهدت جيمينا لتبدو مهتمة بحديثهما، فقد أخذ يدير إبهامه في باطن يدها فعجزت عن التركيز على أي شيء من حولها.

لكنها بذلت ما في وسعها لتبادره باستخفاف وقد ضاق صدرها: «ظننتك مقامراً محترفاً».

ـ بالفعل. لكني كنت أعمل أيضاً كشرطي.

ـ لا أفهم شيئاً.

هز نايل كتفيه استخفافاً إلا أن الإبهام الشرير لا يزال يؤكد لها أن نايل بلاكثورن يهتم لأمرها.

أحست جيمينا بأنها تذوب تحت لمساته.

ـ غالباً ما يلجأ مبيض الأموال إلى الكازينوهات لتمرير الأموال. إنها حيلة ذكية. لذا، أراقب من يربح مبالغ طائلة ومن يخسر ثم أراقبهما لأتبين إن كانا متواطئين.

أجابته آبي التي بدت وكأنها تعيش المغامرة بنفسها: «إنها لوظيفة مشوقة. هل هي خطرة؟».

ـ ليست بخطرة إن استثنيت النساء الصهباوات.

ـ فخ العسل. أليس هذا ما تعرف به؟ هل كشف أمرك؟.

ـ كلا، إنما في وقت من الأوقات ظننت أنهم فضحوا أمري، عندما ظهرت هذه المرأة مع أضعف حجة سمعتها في حياتي.

أجابته جيمينا: «أحقاً؟ وماذا فعلت».

www.elromancia.com

- رد نايل بلطف: «تحريت عنها».

- لا بد أنها كانت مهمة صعبة.

- استحقت العناء.

لم يكن يسعها إشاحة بصرها عنه. وسرعان ما تنبهت لأبي المرحة لما يدور من حولها.

سألته جيمينا وقد أحست بأن أنفاسها تكاد تنقطع: «هل أتت النتائج مطابقة لما بانت عليه؟».

- بل أكثر بكثير. أكثر مما يسعك تصوره.

رمتها عينا نايل بنظرة متفحصة. وفجأة، تذكرت ذاك الإحساس الذي تملكها عندما عانقها وكأنهما ينتميان إلى بعضهما البعض منذ الأزل.

أحست جيمينا بصعوبة في التنفس فتنحنحت لتجلي حنجرتها.

- لا تقل لي إنك أغريت مجرمة؟.

كانت جيمينا لتستنكر غباء هذه المرأة. كيف يعقل أن تكون عمياء إلى هذه الدرجة؟

- دونت بعض الملاحظات وأجريت بعض الاتصالات. لم تكن بالمهمة المسلية على الإطلاق.

- أيها المحتال! يستحسن أن أذهب للبحث عن زوجي. لاحظت أن الإشبين الأصغر حاول خطفه ليلعبا التنس.

عندما ابتعدت عنهما أدار نايل جيمينا لتقف قبالته: «تبدين رائعة».

احمرّت وجنتاها خجلاً هي التي دفعت بنقاد الموضة ليكتبوا عنها المقالات وينظموا فيها الأشعار لخمس سنوات.

- أنت تخطفين أنفاسي.

لم تكن جيمينا تصدق أذنيها.

سألها نايل: «عليّ أن أتحدث إليك. أين يسعنا الذهاب؟».

أطرقت جيمينا تفكر في حلّ، ثم ردّت: «في الواقع، هناك حديقة خاصة، حيث ألتقط لنا المصور صوراً. لكنها مليئة بالوصوليين».

ساقها إلى الحديقة المسورة ومر بالمصورين الهواة وهو يحرسها. أغلق البوابة الحديدية وأدار المفتاح فيها.

- أرجو ألا نعلق هنا للأبد. يبدو هذا المفتاح قديماً جداً.

- لا أبالي، سأبني لك ملجأ ونقتات من الأزهار وماء المطر. حبيبتي، حبيبتي، حبيبتي، ظننت أني خسرتك للأبد.

فاضت به المشاعر فأمسك بها كما يمسك الغريق بقشة تنجيه من هلاكه.

كان عناقه حميماً تماماً كما تتذكره، بل أكثر مما تذكرته، وكما لم يعانق أحد من قبل.

وجد نفسه يعترف لها: «أنا غبي وحثالة، معتوه ومجنون. كيف عساي أخبرك عن حب مراهقتي الأول فيما وجب إخبارك أنك شعلة حياتي، لا تتركيني أبداً».

أخذت جيمينا ترتجف: «ماذا؟».

- أنا لا أجيد التعامل مع المشاعر المرهفة. قدمي لي طاولة للعب الورق أو مركباً أو أي شيء عملي، فأبرع فيه. إنما لن أجيد يوماً إخبار المرأة التي أعشق أنني أحتاجها إلى جانبي.

- المرأة التي تعشق؟ ألست تتحدث عن أبي. تنتميان إلى العالم نفسه، إلى الوسط نفسه. تريد مثلك بيتاً كبيراً مع أحصنة وغيرها من البهارج الارستقراطية.

راح نايل يحدق إليها بعين الغضب: «يا لك من ثرثارة!».

- حتى أنها حصلت على لقب. لست إلا شخصية مشهورة تعرض الثياب

والمنتجات.

بادرها نايل وقد أطلق سراحها: «أنت لا تعانين إلا من التكبر».

صاحت به جيمينا وقد عادت إلى أرض الواقع: «ماذا قلت؟ كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذا الأسلوب؟ أنا لست بمتكبرة».

تابع نايل معتداً بنفسه: «بل على العكس. كنت مغرمة بي عندما كنت تجهلين أنني دوق».

تجاهلت جيمينا عمداً الجزء الأول من إجابته وقالت: «بالحديث عن ذلك، لما لم تخبرني أنك دوق؟».

ـ لم أكن قد تعودت بعد على الفكرة. كما توجب عليّ إنهاء المهمة التي أوكلت إلي قبل أن أعود إلى دياري لأستلم مهامي.

ـ لكنك لم ترغب في العودة إلى انكلترا حيث تعيش أبي. خاصة وأنها أمست حباً مستحيلاً بالنسبة إليك.

ـ يا إلهي! لقد صدقت فعلاً قصتي هذه، صدقت كل كلمة منها، أليس كذلك؟

راحت تومىء برأسها، لا تفهم مقصده فاستأنف نايل كلامه.

ـ لا ألوم إلا نفسي، اسمعيني جيداً أيتها المخلوقة الأخاذة، لقد خلصتني ومنعتني من أن أصرف بقية حياتي أخبر النساء قصصاً وهمية عن حبي الضائع. لقد أشعلت ناراً في قلبي، وكل ذرة في جسدي تصرخ باسمك. جعلتني أقع في حبك وأغرقت نفسي في العمل الشاق عندما هجرتني. هلا كففت عن العبث بمشاعري لتقومي بما يتوجب عليك فعله؟ أنا واثق من أن هذا ما تريدينه أيضاً.

كان يرميها بنظرات جدية إلى حد بعيد، بعيد جداً. فما كان منها إلا أن مدت يديها بحركة تلقائية.

عانقته طويلاً فيما راحت عيناها تشعان في الشمس.

ـ دعني أستوضح هذه الصورة. هل تطلب يدي للزواج؟.

ـ أحاول ذلك، فليكن الله في عوني.

بادرته جيمينا: «ضاعف مجهودك».

وبذل قصارى جهده ليقنعها بمشاركته حياته.

www.elromancia.com

الخاتمة

أخبرت جيمينا نايل: «لقد غضبت السيدة غضباً شديداً».

كانا يمشيان على الرصيف الذي تعمه الفوضى، ينعمان النظر في الشمس التي تتوارى خلف البحر، فيما الهواء يرسل أنفاسه الدافئة في المكان.

كانت جيمينا قد أسدلت شعرها على كتفيها، فأخذ النسيم يداعب خصلاته المجنونة. استدار نايل ليمرر فيه أصابعه بحنان.

أطلقت ضحكة عذبة وتابعت: «كانت مسرورة لأنني ارتبطت بدوق حتى أنها شرعت في تحضير فستان الزفاف. تصور أنها تريد تحضير الزفاف بنفسها حتى بعد أن أخبرتها أننا سنتزوج في الكاريبي».

ـ أشكر الله كل يوم لأنك بجانبي.

تشبثت بذراعه وقالت بدورها: «أنا أيضاً».

أدار إليها وجهاً لم تتعرف إليه، وجه ينضح حباً وهياماً بها.

ـ هل أنت أكيدة من أنك لا تمانعين إقامة عرس بسيط.

ـ لقد حظيت بمناسبات هامة تكفيني مدى الحياة. أريد أن أشاطرك حفلة حميمة مميزة.

وصلا إلى المركب الذي كانا يسافران على متنه، فوجدته جيمينا قذراً تعمه الفوضى. لكنه بدا في نظرها مثالياً.

ـ في الواقع، لم أتعرف على أحد تزوج على متن مركب يشحن الموز. سأمكث في السرير أتنعم بالهدوء والراحة فيما تتباهى بعضلاتك، وأنت تنقل الموز.

بادرها نايل بحزم ثم عانقها بشغف: «ستساعدينني في المهمات الشاقة».

أجابته بنبرتها الساحرة التي تقلب كيانه رأساً على عقب: «نعم بالفعل».

ـ أنت حورية، بالمناسبة لدي شيء أقدمه لك.

سألته والحيرة بادية على محياها: «إرث دوقي؟».

أجابها بغموض: «كلا، بل إرث خاص بي، شيء ما يذكرني بأنني كدت أفقد أغلى شخص على قلبي لأنني انجرفت في روايات خرافية قديمة».

ـ أيها المراوغ، ماذا تعني؟ لا تتركني في حيرتي.

أخرج من جيبه قطعة قماش زاهية اللون.

صاحت به جيمينا وهي تقهقه مسرورة: «ثوب السباحة! أنا سعيدة لأنك عثرت على واحد آخر. كنت غبية عندما رميته، لكني كنت غاضبة جداً...».

تسمر في مكانه وأمسك وجهها بيديه.

ـ أعرف ذلك يا حبي. كنت مخطئاً بالفعل.

ـ ليس حقاً.

أبحر المركب وانطلق يشق عباب البحر.

عمد القبطان إلى اتمام مراسيم الزواج على ضوء المشاعل وأعلنهما زوجاً وزوجة تحت ضوء القمر الذي شهد على عهودهما. بعدئذٍ حملها إلى الحجرة الخاصة. حيث استلقيا ينعمان بالراحة.

بادرها نايل معتداً بنفسه: «بالمناسبة، إنه ثوب السباحة نفسه».

سألته جيمينا: «ماذا؟».

ـ ثوب السباحة. لقد عدت إلى غرفتك وأخذته بعد أن رميته.

استوت في جلستها وراحت تحدق إليه متفاجئة: «ماذا؟».

أجابها بجدية قبل أن يضمها إلى صدره بحنان: «إنه حقيقي، شأننا تماماً».